كِفَايَةُ الأبْرار

من لوامِع الأنوار

للإمام الفاضِل
محمّد بن أحمد السِفاريني

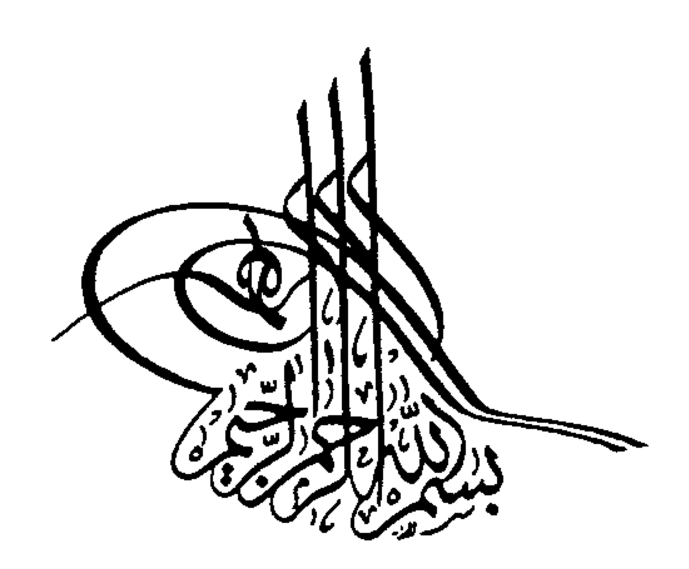
ترتيب وتهذيب واختصار
محمد عبد الرحمن العصومي

المكتب الإسلامي

كفاية الأبرار

من

لوامع الأنوار


بسم الله الرحمن الرحيم

كفاية الأبرار

من

لوامع الأنوار

للإمام الفاضل محمد بن أحمد السفاريني

ترتيب وتهذيب واختصار

محمد عبد الرحمن المعصومي

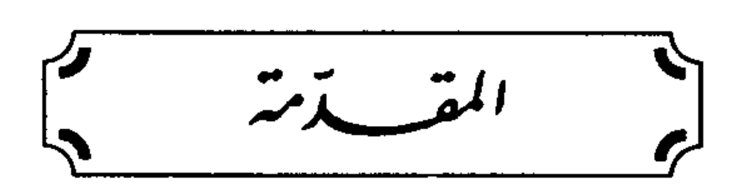
المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ ـ هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ ـ هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ ـ هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

وبعد، فإن كتاب

«لوامع الأنوار البهية وسواطع الأنوار الأثرية

شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية»

من يراع الإمام الفاضل محمد بن أحمد السفاريني، يعتبر في الحقيقة من أجل الكتب التي أُلفت في العقيدة السلفية النقية، ومن أشملها، حيث أنه استوعب جميع الأبواب العقيدية، وقد أسهب المؤلف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في كثير من المسائل فقارب الاستيعاب التام، ولم يسهب مثله في مسائل أخرىٰ، وقد فرَّع علىٰ كثير من المسائل حتىٰ كاد أن يخرج من الموضوع الأصل، أو هو قد خرج منه فعلاً لا لفضول كلام ولكن لمناسبة المقام، كل ذلك مستدلاً بالكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، إلا أن كتابه هذا لم يسلم من بعض هفوات أرجو أن يغفرها الله سبحانه له، وأن يطمرها في بحور حسناته، وقد تعقبه فيها الشيخ الجليل عبد الرحمٰن أبا بطين، ومثله فعل الشيخ العلامة سليمان بن سحمان فجزاهما الله خيراً علىٰ حسن صنيعهما وجزىٰ الله المؤلف خير الجزاء.

وقد رأيت أن أجعل مختصراً له يسهل علىٰ المبتدئين فهمه، فلا تفلت المسائل الرئيسة عنهم، ولا تنقطع سلسلتها فتتناثر حبات الدرر وتضيع وسط آكام المرجان، وكذلك ليكون عوناً للمتخصصين في تذكر المسائل وتسلسلها عند الشرح والمحاضرة.

وقد سميت هذا المختصر:

«كفاية الأبرار من لوامع الأنوار»

واستبعدت فيه ما رأيته فضلة لمن أردت لهم هذا المختصر، وسوف يجد المدقق في الأصل والمختصر أنني قد أخرج أحياناً عن ألفاظ الإمام المؤلف وذلك لغرض التبسيط أو لتوضيح مقال أو ما شابه، فليكن علىٰ علم بهذا.

هذا وقد قام مشكوراً الأخ الشيخ عبد الوحيد ياسين بتخريج أحاديث المختصر، فجزاه الله خير الجزاء في الدارين.

وقد ذكر محقق كتابه «لوائح الأنوار السنية» الدكتور عبد الله محمد بن سليمان البصيري غير واحد من العلماء الذين اختصروا أصل كتابنا ومنهم: العلامة حسن الشطي الحنبلي، والعلامة محمد السلوم، والشيخ علي المنصور الكرمي. وأقول اختصره حديثاً الدكتور مصطفىٰ حلمي فجزىٰ الله الجميع خير الجزاء.

وإني لسائل المولىٰ ﷻ أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يدخره لي يوم العرض والحساب، وينفع به المسلمين عامة، والمبتدئين في علم العقيدة خاصة، إنه نعم المولىٰ ونعم النصير.

الدوحة

نبذة عن المؤلف

- هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، أبو العون، شمس الدين.
- نسبته إلىٰ سفارين، وهي قرية من قرىٰ نابلس بفلسطين.
- ولد بسفارين سنة ١١١٤هجرية.
- **شيوخه ومنهم:**

١ ـ عبد الغني النابلسي.

٢ ـ عبد السلام بن محمد الكاملي.

٣ ـ أحمد بن عبد الكريم بن سعودي العامري الغزي.

٤ ـ إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني.

٥ ـ طه بن أحمد اللبدي.

٦ ـ أبو الحسن السندي ثم المدني.

٧ ـ أحمد بن علي المنيني الحنفي الطرابلسي.

٨ ـ عبد الرحمٰن بن محيي الدين السليمي الحنفي.

٩ ـ عبد القادر بن عمر التغلبي الحنبلي.

١٠ ـ عواد بن عبيد الله الدمشقي الشهير بالكوري الفقيه، وغيرهم كثير.

- **تلامذته ومنهم:**

١ ـ محمد كمال الدين الغزي العامري.

٢ ـ محمد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي (صاحب «تاج العروس»).

٣ ـ شاكر بن علي العقاد.

٤ ـ عبد الله بن شحادة السفاريني، الشهير بابن الخطاب.

٥ ـ مصطفىٰ بن سعد السيوطي (مفتي الحنابلة بدمشق) وغيرهم.

❖ **مؤلفاته:**

١ ـ الأجوبة النجدية عن الأسئلة النجدية.

٢ ـ الأجوبة الوهبية عن الأسئلة الزعبية.

٣ ـ البحور الزاخرة في علوم الآخرة.

٤ ـ تحبير الوفا في سيرة المصطفىٰ.

٥ ـ تحفة النساك في فضل السواك.

٦ ـ رسالة في بيان الثلاث والسبعين فرقة والكلام عليها.

٧ ـ رسالة في حكم تارك الصلاة.

٨ ـ شرح دليل الطالب في الفقه الحنبلي.

٩ ـ شرح نونية ابن القيم.

١٠ ـ كشف اللثام شرح عمدة الأحكام.

١١ ـ لوائح الأنوار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية.

١٢ ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية. وهو أصل كتابنا هذا المختصر.

وغيرها.

توفي يوم الاثنين ٨/ ١٠/ ١١٨٨ للهجرة، رحمه الله رحمة واسعة.

الورد الأول

(١)	الحمد لله القديم الباقي	مُسَبِّبُ الأسباب والأرزاقِ
(٢)	حيٌّ عليم قادر موجود	قامت به الأشياء والوجودُ
(٣)	دَلَّت علىٰ وجوده الحوادثُ	سبحانه فهو الحكيمُ الوارثُ
(٤)	ثم الصلاة والسلام سرمدا	علىٰ النبي المصطفىٰ كَنْزِ الهُدىٰ
(٥)	وآله وصحبه الأبرار	معادن التقوىٰ مع الأسرار
(٦)	وبعدُ فاعلم أن كلَّ العلم	كالفرع للتوحيد فاسمع نظمِي
(٧)	لأنه العلمُ الذي لا ينبغي	لعاقل لفهمه لم يبتغِ
(٨)	فيعلمَ الواجب والمحالا	كجائز في حقِّه تعالىٰ

○ ○ ○ ○ ○

(١) الحمد لله القديم الباقي   مسبب الأسباب والأرزاق

(الحمد) معناه في اللغة: الثناء باللسان علىٰ من أسدىٰ لك جميلاً باختياره، وتقصد من ثنائك هذا تعظيمه وتبجيله، فإن فعلت هذا اتجاهه؛ كنت حامداً له. **(لله)** أي: مستحق الحمد هو الله ﷻ؛ إذ هو المنعم علىٰ العباد دون سواه حقيقة. **(القديم)**: صفة لله ﷻ، وهو اسم من أسمائه أيضاً، ومعنىٰ القديم: الذي لم يسبق وجوده عدم؛ أي: لم يكن ثم كان، بل هو دائم الوجود. **(الباقي)**: مشتق من البقاء، وهو امتناع لحوق العدم، فالله ﷻ موجود بلا نهاية لوجوده. **(مسبب الأسباب)** أي: خالق الأسباب التي يتوصل بها إلىٰ المطلوب. **(الأرزاق)** أي: وهو ﷻ مسبب الأرزاق ومقدر الأرزاق، والرزق: هو ما ينتفع به الناس من حلال وحرام.

(٢) حي عليم قادر موجود قامت به الأشياء والوجود

(حيٌّ) الحياة: صفة من صفاته ﷻ. **(عليم)** مشتق من العلم، والعلم: صفة من صفاته ﷻ، وعليم: مبالغة من العلم، وذلك لأنه ﷻ ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق]، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن]. **(قادر)** أي: ذو القدرة التامة، والقدرة: صفة يوجد بها المقدور علىٰ طبق العلم والإرادة، قال تعالىٰ: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات]. **(موجود)**: ومجوده ﷻ واجب، ووجود غيره ممكن، لأن المخلوقات كلها وجودها بيد الله ﷻ، وأما هو ﷻ فوجوده من ذاته لا يحتاج إلىٰ غيره في استمرار وجوده. **(قامت به الأشياء)** أي: أن جميع الأشياء مفتقرة إليه، مستمدة وجودها منه سبحانه. **(والوجود)**: فحتىٰ الوجود نفسه بيد الله ﷻ، ومع أن الوجود داخل في الأشياء؛ إلّا أنه خص ذكره بالإفراد، وذلك من باب عطف الخاص علىٰ العام، ليرد به علىٰ القائلين بوحدة الوجود.

(٣) دلت علىٰ وجوده الحوادث سبحانه فهو الحكيم الوارث

(دلت علىٰ وجوده الحوادث) أي: أن المخلوقات كلها دليل علىٰ وجود الله ﷻ؛ فإن المخلوقات حادثة؛ أي: أنها لم تكن ثم كانت، فقد وجدت بعد أن كانت معدومة، فإننا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن، وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، فهذه الحوادث ليست ممتنعة الوجود إذ لو كانت ممتنعة الوجود ما وجدت، وهذه الحوادث أيضاً ليست بواجبة الوجود، إذ لو كانت واجبة الوجود لما كانت معدومة قبل أن توجد، فلم يبق إلا أن هذه الحوادث ممكنة الوجود، إذ هي لم تكن موجودة ثم وجدت، وما كان معدوماً ثم وجد فقد وجب أن يكون لها موجداً أوجده من العدم، وهو ﷻ: قال جلّ جلاله: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور].

(سبحانه): اسم بمعنىٰ التسبيح وهو التنزيه، والمعنىٰ أنه منزه عن أن يخلق الخلق سدىٰ أو يشاركه في إحداث شيء من الحوادث شريك، بل هو الخالق المختار بلا حاجة ولا اضطرار، بقدرة قاهرة لحكمة باهرة.

(فهو الحكيم) أي: فالله ﷻ هو المتقن لخلق الأشياء بحسن التدبير وبديع التقدير قال جلّ جلاله: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧] وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ

شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢﴾ [الفرقان]. و(الحكيم) من أسمائه الحسنىٰ وهو ذو الحكمة. (الوارث) أي: الباقي بعد فناء الخلق، والمسترد لأملاكهم، ومواريثهم بعد موتهم، قال جلّ جلاله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا﴾ [مريم: ٤٠].

(٤) ثم الصلاة والسلام سرمدا على النبي المصطفىٰ كنز الهدىٰ

(ثم الصلاة) الصلاة من الله هي رحمته لعباده، والصلاة من الملائكة تكون بالاستغفار للعباد، والصلاة من الناس تكون بالتضرع والدعاء بخير، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. **(والسلام)** معناه: التحية والسلامة من النقائص والرذائل. **(سرمداً)** أي: دائماً متصلاً علىٰ مَرِّ الليالي والأيام. **(علىٰ النبي)** النبي: هو كل إنسان أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه، فإن أمره الله سبحانه بتبليغ شرعه للناس، كان النبي بذلك التبليغ رسولاً أيضاً، فبين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، والرسول أفضل من النبي إجماعاً لتميزه بالرسالة. **(المصطفىٰ)** أي: المختار والمستخلص.

قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفىٰ كِنانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْماعِيلَ، واصْطَفىٰ قُرَيْشاً مِنْ كِنانَةَ، واصْطَفىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَني هاشِمٍ، واصْطَفانِي مِنْ بَني هاشِمٍ»[1].

(كنز) أي: معدن، والكنز في الأصل هو المال المدفون تحت الأرض. **(الهدىٰ)** أي: الرشاد والدلالة، ومن أسمائه سبحانه: الهادي وهو الذي بصَّر عباده وعرَّفهم طرق معرفته.

(٥) وآله وصحبه الأبرار معادن التقوىٰ مع الأسرار

(وآله) أي: والصلاة والسلام السرمديان علىٰ آله ﷺ، والذين هم أتباعه علىٰ دينه أي: المسلمين، سئل ﷺ من آلك؟ فقال: «كُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ»، والآل: اسم جمع لا واحد له في لفظه. **(وصحبه)** أي: والصلاة والسلام السرمديان، علىٰ صحبه، والصحب، هو اسم جمع واحده صاحب.

(الأبرار) جمع البرّ أي: البار، وهو الصادق والكثير البرّ. والصحابي

---

(١) «صحيح مسلم» في كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ الحديث رقم ١.
وهذا طرف الحديث أخرجه مسلم برقم ٤٢٢١، عن أبي عمار ﷺ.

يسمىٰ به كل من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً ولو لحظة، ومات علىٰ ذلك، ولو أنه ارتد عن إسلامه ثم أسلم ومات علىٰ إسلامه. ولقد قسم الإمام الحافظ ابن الجوزي الصحبة إلىٰ ثلاث مراتب:

الأولىٰ: من كثرت معاشرته ومخالطته للنبي ﷺ.

الثانية: من اجتمع به ﷺ وكان ذلك الرجل مؤمناً، ولو كان اجتماعه به مرة واحدة.

الثالثة: من رآه ﷺ رؤية ولم يجالسه ولم يمش معه، فهذا ألحق بالصحبة إلحاقاً.

والصحابة كلهم عدول ولا يبحث عن عدالتهم، وعلىٰ الناس ذكر محاسنهم، والكف عما جرىٰ بينهم من الفتن، ويجب حمل ذلك علىٰ اجتهادهم، وظن كل فريق منهم أن ما صار إليه هو الواجب الصحيح، وأنه أوفق للمسلمين، وكل مجتهد مأجور.

(معادن) جمع معدن، وهي المواضع التي يستخرج منها جواهر الأرض كالذهب والفضة، والمعدن أيضاً هو مركز كل شيء. **(التقوىٰ)** التقوىٰ في اللغة هو: الحجز بين الشيئين، ومعناه في اصطلاح الشرع هو: التحرز بطاعة الله عن مخالفته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه. **(مع الأسرار)** السر: هو ما استودعته لأخيك، وكرهت أن يطلع عليه أحد، ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أعمق الناس أسراراً، وأبرّهم قلوباً، وأعلاهم أنواراً.

(٦) وبعد فاعلم أن كل العلم كالفرع للتوحيد فاسمع نظمي

(وبعد) الواو بدل عن أما النائبة عن مهما والأصل أن يقال أما بعد. **(فاعلم)** الفاء في جواب واو النائبة عن أما لتضمنها معنىٰ الشرط، والعلمُ: صفة يميز المتصف بها بين الجواهر، والأجسام، والأعراض، والواجب، والممكن والممتنع. **(أن كل العلم)** أي: سائر العلوم الشرعية. **(كالفرع للتوحيد)** أي: أن تلك العلوم كالفروع لعلم التوحيد؛ لأنها متفرعة عن علم التوحيد وناشئة عنه. **(فاسمع)** أي: فاسمع سماع فهم وعرفان وقبول وإذعان. **(نظمي)** يعني: الأبيات الشعرية الآتية والمشتملة علىٰ أمهات مسائل التوحيد

ومهماتها. والتوحيد هو: إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته ذاتاً، وصفاتاً، وأفعالاً، فلا تقبل ذاته الانقسام، ولا تشبه صفاته الصفات، ولا تنفك صفاته عن ذاته، ولا يدخل أفعاله الاشتراك.

(٧) لأنه العلم الذي لا ينبغي — لعاقل لفهمه لم يبتغ

(لأنه) أي: لأن علم التوحيد. **(العلم الذي لا ينبغي)** أي: العلم العظيم القدر الذي لا يحسن ولا يجمل. **(لعاقل)** يعني: لشخص عاقل ذكر أو أنثىٰ. **(لفهمه)** أي: لإدراك معرفته في ذهنه. **(لم يبتغ)** أي: لم يطلبه، ويتعب في تحصيله؛ ليكون علىٰ بصيرة من إيمانه، وعلىٰ يقين في عبادته.

(٨) فيعلم الواجب والمحالا — كجائز في حقه تعالىٰ

(فيعلم الواجب) أي: يجب علىٰ كل مكلف شرعاً؛ أن يعرف ما يجب لله تعالىٰ، كوجوده ﷻ ووجوب قدمه. **(والمحالا)** أي: ويجب أن يعلم المحال، كالشريك له ﷻ. **(كجائز)** يعني: كما يجب عليه أن يعلم الجائز من الأمور، كإرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع إلىٰ غير ذلك. **(في حقه تعالىٰ)** أي: وكل ذلك بالنسبة لله تعالىٰ، الواجبات في حقه سبحانه، والمحالات في حقه سبحانه، والجائزات في حقه سبحانه.

* * * * *

الورد الثاني

(٩)	وصار من عادة أهل العلم	أن يعتنوا في سبر ذا بالنَّظْم
(١٠)	لأنه يسهلُ للحفظِ كما	يروق للسمع ويشفي من ظَمأ
(١١)	فمن هنا نظمتُ لي عقيدة	أرجوزةٌ وجيزةٌ مفيدة
(١٢)	نظمتها في سِلكها مُقَدِّمة	وسِتَّ أبواب كذاك خاتِمَة
(١٣)	وسَمْتُها بالدُّرَّةِ المَضيَّة	في عَقد أهل الفرقة المرضِيَّة
(١٤)	علىٰ اعتقاد ذي السَّداد الحنبلي	إمام أهل الحق ذي القدر العلِي
(١٥)	حبر الملا فرد العلا الربّاني	ربِّ الحِجىٰ ماحي الدُّجىٰ الشيباني
(١٦)	فإنه إمامِ أهل الأثر	فمن نحا منحاه فهو الأثري
(١٧)	سقىٰ ضريحاً حلَّه صوبَ الرِّضا	والعفو والغفران ما نجمٌ أضا
(١٨)	وحلَّه وسائرُ الأئمَّة	منازلُ الرِّضوان أعلىٰ الجنَّة

○ ○ ○ ○ ○

(٩) وصار من عادة أهل العلم   أن يعتنوا في سبر ذا بالنظم

(وصار) يعني: وأصبح في هذه الأزمنة، ومن قبلها في سائر الأمصار، بعد كثرة الخلاف، وتباين الفرق وظهور البدع. **(من عادة أهل العلم)** أي: من عادة أهل العلم بالسنة والعقيدة الصحيحة. **(أن يعتنوا)** أي: ليهتموا ويشتغلوا. **(في سبر)** أي: في تتبع مهمات مسائل. **(ذا)** أي هذا العلم الذي هو علم التوحيد. **(بالنظم)** أي بالشعر، وذلك لسهولة حفظه؛ لأن النظم كلام مُنسَّق مقفىٰ موزون، فيرسخ في الحافظة من غير مزيد مشقة، بخلاف المنثور فإنه أصعب رسوخاً في الحافظة.

(١٠) لأنه يسهل للحفظ كما   يروق للسمع ويشفي من ظما

(لأنه) أي: المنظوم المفهوم من النظم. **(يسهل)** يعني: يلين وييسر.

(للحفظ) يعني: العلوق في الحافظة. **(كما يروق)** يعني: كما يحسن ويجمل ويلذ. **(للسمع)** أي: للسامع، وذلك لكونه ينبسط له ويلتذ بسماعه. **(ويشفي من ظما)** أي: ويشفي من شدة العطش، واشتياق إلىٰ معرفة أصول علم التوحيد ومهمات مسائله.

(١١) فمن هنا نظمت لي عقيدة أرجوزة وجيزة مفيدة

(فمن هنا) أي: من أجل ما ذكرنا من تمييز النظم علىٰ النثر. **(نظمت)** النظم هو: التأليف، وضم شيء إلىٰ آخر. **(لي عقيدة)** يعني: وقصدت أن يكون ذلك النظم من أجلي، ومن أجل كل من هو علىٰ مثل اعتقادي، وهو العقيدة الأثرية السلفية. **(أرجوزة)** أي: موجزة النظم، من الرجز وهو أحد بحور الشعر، وجمعها أراجيز. **(وجيزة)** أي: قليلة مختصرة. **(مفيدة)** أي: مربحة لمن قرأها، وتأمل معانيها.

(١٢) نظمتها في سِلكها مقدمة وست أبواب كذاك خاتمة

(نظمتها) أي: نظمت مسائلها، ومهماتها. **(في سلكها)** أي: خيطها. **(مقدمة)** اسم فاعل بمعنىٰ تقدم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، أي: لا تتقدموا عليه، ومقدمة العلم؛ ما يتوقف الشروع فيه عليها، كمعرفة حدّه، وموضوعه، وغايته. **(وست أبواب)** الأبواب: جمع باب وهو فرجة في ساتر يتوصل بها من خارج إلىٰ داخل ومن داخل إلىٰ خارج، ويطلق الباب عرفاً علىٰ طائفة من العلم يشتمل علىٰ فصول، وفروع، ومسائل غالباً. **(كذاك)** أي: كما أنه يشتمل علىٰ مقدمة، وستة أبواب، فإنه يشتمل علىٰ **(خاتمة)** وهي في اللغة: عاقبة الشيء، وآخرته، والمقصود منها هنا: ما يأتي بها المصنف، أو الناظم في آخر كتابه لتعلقها بما تقدمها.

(١٣) وسمتها بالدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية

(وسمتها) السمة من العلامة، أي: سميتها يعني تلك العقيدة التي نظمت في علم التوحيد. **(بالدرّة)** الدرة هي: اللؤلؤة العظيمة، وجمعها درّ، ودُرَرْ، ودرّات. **(المضيّة)** أي: المنوّرة، يقال ضاءت، وأضاءت، يعني: استنارت. **(في عقد)** أي: في اعتقاد. **(أهل الفرقة)** أي: الطائفة. **(المرضية)** أي:

المرضية في اعتقادها المأثور عن الكتاب، والسنة، وآثار السلف الصالح.

(١٤) علىٰ اعتقاد ذي السداد الحنبلي إمام أهل الحق ذي القدر العلي

(علىٰ اعتقاد) الاعتقاد هو: حكم الذهن الجازم، فإن كان موافقاً للواقع؛ فهو صحيح، وإن لم يكن موافقاً للواقع؛ فهو فاسد. **(ذي السداد)** أي: صاحب الاستقامة. **(الحنبلي)** المراد منه: الإمام الأمجد؛ إمامنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنب ـ بكسر الهاء ـ بن أقصىٰ بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. **(إمام أهل الحق)** وهم: الفرقة الناجية. **(ذي القدر العلي)** أي: صاحب المقدار السامي المرتفع، وذلك لكثرة فضائله، ومناقبه. قال عنه الإمام إسحاق بن راهويه: (الإمام أحمد بن حنبل؛ حجة بين الله تبارك وتعالىٰ؛ وبين عبيده في أرضه).

(١٥) حبر الملا فرد العلا الرباني رب الحِجىٰ ماحي الدجىٰ الشيباني

(الحبر) العالم، والصالح. **(الملا)** أشراف الناس، وجماعتهم. **(فرد)** أي: الواحد الذي لا نظير له. **(العلا)** أي: الخصال السامية، المرتفعة. **(الرباني)** أي: العالم العامل، المعلم للعلم غيره، وهو منسوب للرب بزيادة الألف، والنون للدلالة علىٰ كمال الصفة. **(رب الحجىٰ)** أي: صاحب العقل والفطنة. **(ماحي الدجىٰ)** يعني: مزيل الظلمة، والبدعة بنور السنة المحمدية. **(الشيباني)** نسبة إلىٰ أحد أجداده، وهو شيبان بن ذهل.

(١٦) فإنه إمام أهل الأثر فمن نحا منحاه فهو الأثري

(فإنه) يعني: الإمام أحمد. **(إمام أهل الأثر)** أي: قدوة أصحاب المأثور عن الله سبحانه، في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وما ثبت، وصح عن السلف الصالح؛ من الصحابة، والتابعين. **(فمن نحا)** أي: فمن قصد من الناس. **(منحاه)** أي: مقصده، ومذهبه، وسار علىٰ سيرته. **(فهو الأثري)** أي: فذاك الإنسان يسمىٰ أثرياً؛ لأنه اتبع العقيدة الأثرية، والفرقة السلفية، ويعرف أيضاً

بمذهب السلف، وهو مذهب سلف الأمة، وجميع الأئمة المعتبرين المقلَّدين في أحكام الدين. قال علي ابن المديني ـ وهو شيخ الإمام أحمد ـ: (أحمد سيدنا، حفظ الله أحمد، هو اليوم حجة الله علىٰ خلقه). وقال: (إن الله تعالىٰ أعز هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة).

(١٧) سقىٰ ضريحاً حله صوب الرضا والعفو والغفران ما نجم أضا

(سقىٰ ضريحاً) أي: سقىٰ قبراً. **(حله)** أي: سكنه؛ يعني الإمام أحمد، يقال حلّ المكان يعني: نزل به. **(صوب)** أي: الغيث، والمطر. **(الرضا)** أي: رضوان الله، ورحمته، وجوده، وبركته. **(والعفو)** يعني: وسقىٰ الله ضريح الإمام أحمد؛ العفو، والصفح. **(والغفران)** الستر والتغطية، ومن أسمائه تعالىٰ الغفّار، أي: الساتر لذنوب عباده. **(ما نجم أضا)** أي: مدة دوام استنارة الكواكب، ومنه تشبيه العلماء بالنجوم بجامع الإنارة، والهداية في الظلماء.

(١٨) وحله وسائر الأئمة منازل الرضوان أعلىٰ الجنة

(وحله) أي: وأحلّ الله الإمام أحمد. **(وسائر الأئمة)** أي: وكذلك أحل جميع الأئمة؛ من علماء الأمة الذين بذلوا جهدهم في تدوين الشريعة. **(منازل الرضوان)** أي: أحلّهم في الدرجات التي هي للذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه. **(أعلىٰ الجنة)** أي: أن تلك الدرجات هي في أعلىٰ الجنة علىٰ حسب مقاماتهم الشامخة.

* * * * *

الورد الثالث

(١٩) اعلم هديتَ أنه جاء الخبر	عن النبيِّ المقتفىٰ خير البشر
(٢٠) بأن ذي الأمة سوف تفترق	بضعاً وسبعين اعتقاداً والمُحِق
(٢١) ما كان في نهج النبي المصطفىٰ	وصحبه من غير زيغ وجفا
(٢٢) وليس هذا النص جزماً يعتبر	في فرقة إلا علىٰ أهل الأثر
(٢٣) فأثبَتُوا النصوص بالتنزيه	من غير تعطيلٍ ولا تشبيه
(٢٤) فكلُّ ما جاء من الآيات	أو صحَّ في الأخبارِ عن ثقات
(٢٥) من الأحاديث نُمِرُّهُ كما	قد جاء فاسمع من نظامي واَعلَما
(٢٦) ولا نردُّ ذاك بالعقول	لقول مفترٍ به جهولِ
(٢٧) فعقدنا الإثبات يا خليلي	من غير تعطيلٍ ولا تمثيلِ
(٢٨) فكل من أوَّلَ في الصفات	كذاتِه من غير ما إثبات
(٢٩) فقد تعدّىٰ واستطال واجترىٰ	وخاض في بحر الهلاكِ وافترىٰ

○ ○ ○ ○ ○

۞ المقدمة ۞

في ترجيح مذهب السلف علىٰ غيره من سائر المذاهب

(١٩) اعلم هديت أنه جاء الخبر عن النبي المقتفىٰ خير البشر

(اعلم) اعلم فعل أمر من العلم، والعلم هو حكم الذهن الجازم. **(هديت)** جملة اعتراضية دعائية من الهداية، والمراد بها هنا: الدلالة الموصلة إلىٰ المطلوب. **(أنه)** أي: الأمر. **(جاء الخبر)** يعني جاء الحديث. **(عن النبي المقتفىٰ)** أي: النبيّ المتّبع، ومن أسمائه ﷺ المقفىٰ.

(خير البشر) بل هو خير جميع الخلق من الإنس، والجن، والملائكة.

(٢٠) بأن ذي الأمة سوف تفترق بضعاً وسبعين اعتقاداً والمحق

(بأن ذي الأمة) أي: بأن هذه الأمة المحمدية. **(سوف تفترق)** أي: ستفترق فيما بعد. **(بضعاً)** أي: إلىٰ بضع. **(وسبعين)** فرقة، والبضع في العدد؛ ما بين الثلاث إلىٰ التسع. **(اعتقاداً)** أي: أن افتراقهم سوف يكون لأجل الاعتقاد. **(والمحق)** أي: أن التي ستكون علىٰ الحق من تلك الثلاث والسبعين فرقة؛ طائفة واحدة وهي:

(٢١) ما كان في نهج النبي المصطفىٰ وصحبه من غير زيغ وجفا

(ما كان في نهج) أي: ما كانت علىٰ منهج وطريقة. **(النبي المصطفىٰ)** أي: صفوة خلق الله نبينا محمد ﷺ، ويقال أن من أسمائه ﷺ؛ المصطفىٰ. **(وصحبه)** أي: ومن كان علىٰ منهاج صحابة رسول الله ﷺ، وسار بسيرهم. **(من غير زيغ)** أي: من غير ميل، ولا انحراف، ولا شك. **(وجفا)** أي: ومن غير تجافي عن هديهم، والجفاء نقيض الصلة قال ﷺ: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا علىٰ اثنتين وسبعين ملة، وأن هذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي: الجماعة» رواه أحمد من حديث معاوية رضي الله عنه، ورواه أبو داود، وزاد فيه: «وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارىٰ بهم الأهواء، كما يتجارىٰ الكلَب بصاحبه، لا يبقىٰ منه عرق، ولا مفصل، إلا دخله» والكلَب بفتح اللام، هو داء يعرض للإنسان من عضة الكلب.

(٢٢) وليس هذا النص جزماً يعتبر في فرقة إلا علىٰ أهل الأثر

(وليس هذا النص) أي: الحديث المذكور في افتراق الأمة. **(جزماً)** أي: أجزم به. **(يعتبر)** أي: يستدل به. **(في فرقة)** أي: لا يَصْدُق علىٰ فرقة معينة، **(إلا علىٰ أهل الأثر)** أي: إلا علىٰ فرقة أصحاب الحديث، من دون سائر الفرق، والمعنىٰ: أن أصحاب الحديث هم وحدهم الفرقة الناجية؛ لأن الباقين قد حكموا العقول، وخالفوا المنقول.

❁ تنبيهات ❁

الأول: قال بعض أهل العلم: أهل البدع خمسة ـ يعني من جهة

أصولها ـ ثم كل فرقة تتشعب وتتفرق فرقاً شتىٰ، أحدها: المعتزلة، والثانية: الشيعة، والثالثة: الخوارج، والرابعة: المرجئة، والخامسة: الجبرية.

ومنهم من أضاف السادسة: المشبهة.

الثاني: ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه «التفرقة بين الإيمان والزندقة»، أن النبي ﷺ قال: «ستفترق أمتي نيفاً وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلّا الزنادقة وهي فرقة»، قال: وظاهر الحديث يدل علىٰ أنه أراد الزنادقة من أمتُهْ إذ قال: «ستفترق أمتي»، ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أما هذا الحديث فلا أصل له؛ بل هو موضوع كذب باتفاق أهل العلم بالحديث)، وقال: (وأيضاً لفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي ﷺ، كما لا يوجد في القرآن، وأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في توبته قبولاً، ورداً، فالمراد به عندهم؛ المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر).

(٢٣) فأَثْبَتُوا النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه

(فأثبتوا النصوص) أي: فإن أصحاب الحديث قد أقروا النصوص القرآنية والأحاديث النبوية. **(بالتنزيه)** أي: واستمسكوا بتنزيه الله سبحانه. **(من غير تعطيل)** يعني: من دون أن يعطلوا صفاته سبحانه، والتعطيل هو: النفي؛ إذ المعطّلة قد نفوا صفاته سبحانه بدعوىٰ أن في إثباتها تشبيه لها بصفات المخلوقين. **(ولا تشبيه)** أي: وكذلك فإن أصحاب الحديث لم يشبهوا صفاته تعالىٰ بصفات أحد من المخلوقين، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ]. فقوله: ليس كمثله شيء، ردّ علىٰ المشبهة، وقوله: وهو السميع البصير، ردّ علىٰ المعطّلة النفاة لصفاته تعالىٰ.

(٢٤) فكل ما جاء من الآيات أو صح في الأخبار عن ثقات

(فكل ما جاء) أي: كل ما جاء عن الله تبارك وتعالىٰ في القرآن العظيم. **(من الآيات)** الآيات: جمع آية. **(أو صح في الأخبار)** أي: والذي صح مجيئه في الأخبار، والأحاديث بالأسانيد الثابتة القوية. **(عن ثقات)** أي: عن الرواة الثقات في النقل؛ وهم العدول الضابطون المرضيّون عند أهل الفن، العارفين بالجرح، والتعديل في علم الرجال.

(٢٥) من الأحاديث نُمِرُّه كما قد جاء فاسمع من نظامي واعلما

(من الأحاديث) يعني: الأحاديث الصحيحة، والآثار الصريحة، مما يوهم تشبيهاً أو تمثيلاً. **(نمرّه كما قد جاء)** أي؛ جاء عن الله ﷻ، ورسوله ﷺ، فيوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تكييف، وكل ما أوجب نقصاً؛ فالله ﷻ منزه عنه، فإنه سبحانه مستحق الكمال الذي لا غاية فوقه. **(فاسمع)** يعني سماع إذعان، وتفهم، وامتثال، وتعليم. **(من نظامي)** أي: من منطوق نظامي، ومفهومه. **(واعلما)** أي: واعلم ذلك علم تحقيق وتدقيق واعتمده، واعتقده، فإنه نهج سلف الأمة.

(٢٦) ولا نَرُدُّ ذاك بالعقول لقول مفترٍ به جهول

(ولا نرد ذاك) أي: ولا نرد ذلك الوارد في القرآن والحديث. **(بالعقول)** بأن نؤوّل تلك النصوص، ونموّه فيها، ونضللها. **(لقول مفتر)** أي: من أجل إنسان كذاب، فالفرية هي الكذب. **(به جهول)** أي: فإن ذلك الإنسان بتأويله الفاسد، إنما هو جاهل سخيف الرأي؛ إذ هو ينكر صفات قد وصف الله بها نفسه، كما قال تعالىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾[1] [النمل] فأثبت لنفسه الرحمة، وقال تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] فأثبت لنفسه الحب.

(٢٧) فعقدنا الإثبات يا خليلي من غير تعطيل ولا تمثيل

(فعقدنا) أي: فعقيدتنا نحن الأثرية أصحاب الحديث ومنهجنا الذي نسير عليه؛ **(الإثبات)** بأن نثبت الأسماء، والصفات لله ﷻ، كما وردت به الآيات، ودلت عليه الروايات. **(يا خليلي)** من الخلة؛ وهي: نهاية المحبة، بحيث أنها تخللت الأعضاء، والمفاصل. **(من غير تعطيل)** أي: دون أن ننفي حقائق صفات الله، أو نشبهها بصفات المخلوقين. **(ولا تمثيل)** أي: وكذلك من دون أن نمثلها بصفات المخلوقين، بل إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، فالممثل يعبد صنماً، والمعطّل يعبد عدماً، والمثبت المسلم يعبد رب الأرض والسماء.

---

(١) جزء من آية النمل، وكذلك في كل سورة إلا التوبة.

(٢٨) فكل من أول في الصفات كذاته من غير ما إثبات

(فكل من أوّل في الصفات) يعني: الصفات الثابتة للذات المقدسة، والمراد بالتأويل هنا؛ أن يراد باللفظ ما يخالف ظاهره، أو صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى آخر، أو صرف اللفظ عن حقيقته إلىٰ مجازه، وهذه الأفعال مستنكرة عند علماء السلف، فإنه اتفق الجميع علىٰ إثبات ذاته سبحانه، وقالوا بأن ذاته ليست كذوات المخلوقين، فما المانع من إثبات صفات ليست كصفات المخلوقين، فإن الكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات. **(كذاته)** أي: فليس لنا أن نتأول في صفات الله ﷻ، ولا في ذاته. **(من غير ما إثبات)** أي: من دون أن يثبت ذلك عن الله ﷻ، ورسوله ﷺ، وأصحاب رسوله ﷺ. وعلم من النظم أن الله ﷻ يطلق عليه الذات، كما يقال: أنه شيء لا كالأشياء، وأنه ذات لا كالذوات.

(٢٩) فقد تعدىٰ واستطال واجترىٰ وخاض في بحر الهلاك وافترىٰ

(فقد تعدىٰ) هذا خبر للمبتدأ الذي هو قوله: (فكل من أوّل)، وقد تعدىٰ ذلك المؤول، بأن تصرف تصرفاً لم يأذن به الله ﷻ، ولا رسوله ﷺ، . **(واستطال)** أي: تطاول علىٰ السلف الصالح، فكأنه استدرك عليهم ما يزعم أنهم أغفلوه. **(واجترىٰ)** من الجرأة أي: تشجع وافتات حدّه، وتعدّىٰ طوره. **(وخاض)** أي: اقتحم. **(في بحر الهلاك)** أي: الموت. **(وافترىٰ)** أي: وكذب علىٰ مولاه الذي خلقه وسواه، فعلىٰ العاقل أن يتبع طريقة أهل الأثر، فإنها أسلم، ودع عنك ما قيل من أن مذهب الخلف أعلم، فإنها من النزعات الفلسفية، والزخارف البدعية، فأين علم زيد وعمرو من علم من شاهد الرسول، وعاين الأمر؟!.

* * * * *

الورد الرابع

(٣٠) ألم تر اختلاف أصحابِ النظر ... فيه وحسن ما نحاه ذو الأثر
(٣١) فإنهم قد اقتدوا بالمصطفىٰ ... وصحبه فاْقْنَعْ بهذا وكفىٰ
(٣٢) أوَّلُ واجب علىٰ العبيد ... معرفةُ الإله بالتسديد
(٣٣) بأنه واحِدٌ لا نظيرُ ... له ولا شبهٌ ولا وزيرُ
(٣٤) صفاتُه كذاته قديمة ... أسماؤه ثابتةٌ عظيمة
(٣٥) لكنها في الحق توقيفيَّة ... لنا بذا أدِلَّةٌ وفيَّة
(٣٦) له الحياة والكلامُ والبصر ... سمعٌ إرادةٌ وعلمٌ واقتدَر
(٣٧) بقدرة تعلقت بمُمكنِ ... كذا إرادة فَعِ واستبِنِ
(٣٨) والعلمُ والكلام قد تعلقا ... بكلِّ شيء يا خليلي مطلقا
(٣٩) وسمعُهُ سبحانَه كالبصرِ ... بكلِّ مسموعٍ وكلِّ مبصرِ

○ ○ ○ ○ ○

(٣٠) ألم تر اختلاف أصحاب النظر ... فيه وحسن ما نحاه ذو الأثر

(ألم تر اختلاف أصحاب النظر) يعني: ألم تر كيف اختلف نظار المتكلمين من سائر الفرق، والطوائف، ورد بعضهم علىٰ بعض، وضلل بعضهم بعضاً؟!. **(فيه)** أي: في نظرهم. **(وحسن ما نحاه)** يعني: وألم تر حسن المذهبْ الذي قصده ونهجه. **(ذو الأثر)** ويعني بهم الرسول ﷺ، وصحابته الكرام ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، والأئمة المعتبرين من السلف الصالح.

(٣١) فإنهم قد اقتدوا بالمصطفىٰ ... وصحبه فاقنع بهذا وكفىٰ

(فإنهم) أي: الأثرية أصحاب الحديث. **(قد اقتدوا)** أي: اتخذوا قدوة لهم، واعتمدوا. **(بالمصطفىٰ)** أي: بالنبي ﷺ. **(وصحبه)** أي: واقتدوا بصحابته

الكرام ﷺ. **(فاقنع بهذا)** أي: فارض بهذا البيان. **(وكفىٰ)** أي: وكفىٰ بك بهؤلاء مستنداً ومعتقداً، فالسلامة فيما نحوه، وأصلوه، وليس فيما زخرفه أهل التأويل.

❁ تنبيهات ❁

الأول: لا خلاف بين العقلاء أن الله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال، منزه عن جميع صفات النقص، لكنهم مع اتفاقهم علىٰ ذلك اختلفوا في الكمال والنقص؛ فتراهم يثبت أحدهم لله ما يظنه كمالاً، وينفي الآخر عين ما أثبته هذا، لظنه نقصاً، وسبب ذلك أنهم سلطوا الأفكار علىٰ ما لا سبيل إليه من طريق الفكر، فإن الله ﷻ خلق العقول، وأعطاها قوة الفكر، وجعل لها حدّاً تقف عنده، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدِّها أصابت بإذن الله تعالىٰ، وإذا سلطت الأفكار علىٰ ما هو خارج عن طورها وحدِّها، ركبت متن عمياء، وخبطت خبط عشواء.

الثاني: أن الحنابلة سلفيون، يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف.

الثالث: قد ذمّ السلف الصالح الخوض في علم الكلام، والتقصّي والتدقيق فيما زعموا أنه قضايا برهانية، وحجج قطعية يقينية، وقد شحنوا ذلك بالقضايا المنطقية، والمدارك الفلسفية والتخيلات الكشفية، والمباحث القرمطية.

قال الإمام الشافعي: (حكمي في أصحاب الكلام أن يصفعوا وينادىٰ بهم في العشائر، والقبائل؛ هذا جزاء من ترك السنة، وأخذ في علم الكلام)، وقال الإمام أحمد: (عليكم بالسنة والحديث، وما ينفعكم، وإياكم والخوض، والمراء فإنه لا يفلح من أحب الكلام).

فإن قلت: إذا كان علم الكلام بالمثابة التي ذكرت فكيف ساغ للأئمة الخوض فيه، والتنقيب عما يحتويه؟ قلت: العلم الذي نُهينا عنه غير العلم الذي أَلَّفنا فيه، والكلام الذي حذرنا منه غير الكلام الذي صَنَّفَ فيه كل إمام، وحافظ، وفقيه، فعلم الكلام الذي نهىٰ عنه أئمة الإسلام هو العلم المشحون بالفلسفة، والتأويل، والإلحاد، والأباطيل، وصرف الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة، والأخبار النبوية عن حقائقها الباهرة.

الباب الأول

في معرفة الله تعالىٰ، وما يتعلق بذلك من تعداد الصفات التي يثبتها المتكلمة كالسلف، وأسمائه تعالىٰ، وكلامه، وغير ذلك.

(٣٢) أول واجب علىٰ العبيد   معرفة الإله بالتسديد

(أول واجب علىٰ العبيد) العبيد جمع عبد. قال أبو علي الدقاق: ليس شيء أشرف ولا اسم أتم للمؤمن من الوصف بالعبودية. **(معرفة الإله)** أي: معرفة الله ﷻ، وهي عبارة عن معرفة وجود ذاته تعالىٰ بصفات الكمال، دون معرفة حقيقة ذاته، وصفاته، لاستحالة ذلك عقلاً. **(بالتسديد)** أي: التقويم والتوفيق للسداد، أي: الصواب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (مثبتوا النبوات تحصل لهم المعرفة بالله بثبوت النبوة من غير نظر، ولا استدلال في دلائل العقول).

(٣٣) بأنه واحد لا نظير   له ولا شبه ولا وزير

(بأنه واحد) أي: بأنه ﷻ واحد لا يتجزأ، ولا ينقسم. **(لا نظير له)** أي: لا مثل له. **(ولا شبه)** أي: ولا شبيه له من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا شريك له في ملكه. **(ولا وزير)** أي: وليس له وزير يعينه في تدبير خلقه، ولا معين له في تدبير ملكه.

(٣٤) صفاته كذاته قديمة   أسماؤه ثابتة عظيمة

(صفاته كذاته) أي: أن صفاته ﷻ مثل ذاته. **(قديمة)** أي: لا ابتداء لوجودها، ولا انتهاء، إذ لو كانت حادثة لاحتاجت إلىٰ محدث، تعالىٰ سبحانه عن ذلك. **(أسماؤه ثابتة)** أي: أن أسماء الله ﷻ ثابتة بالنص والعقل. **(عظيمة)** لأنها معظمة موصوفة بأنها حسنىٰ، وأنها قديمة عند أهل الحق كصفاته الذاتية، وكصفاته الفعلية. والمراد بأسمائه تعالىٰ؛ ما دلّ علىٰ مجرد ذاته كالله، أو باعتبار الصفة كالعالم، والقادر.

❁ تنبيهات ❁

الأول: ما يجري صفة أو خبراً علىٰ الرب تبارك وتعالىٰ أقسام:

أحدها: ما يرجع إلىٰ نفس الذات كقولك: ذات، وموجود، وشيء.

الثاني: ما يرجع إلىٰ صفات معنوية كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير.

الثالث: ما يرجع إلىٰ أفعاله كالخالق، والرازق.

الرابع: ما يرجع إلىٰ التنزيه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتاً؛ إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس السلام.

الخامس: ما دلَّ علىٰ جملة أوصاف كالمجيد، فإنه من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين، والوصفين بالآخر، كالغني الحميد، والعفو الغفور، والحميد المجيد، فإن الغني من صفات الكمال، والحمد كذلك، واجتماع الغني مع الحمد كمال آخر.

الثاني: ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالىٰ، أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه، فإن هذا يخبر به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ.

الثالث: أسماؤه سبحانه أعلام، وأوصاف، فالوصف فيها لا ينافي العلمية، وهذا بخلاف أوصاف العباد.

(٣٥) لكنها في الحق توقيفية لنا بذا أدلة وفية

(لكنها) أي: الأسماء الحسنىٰ. **(في الحق)** يعني: في القول الحق المعتمد عند أهل الحق. **(توقيفية)** يعني: تتوقّف علىٰ ورود نص من الشرع علىٰ ثبوت اسم من الأسماء. **(لنا)** أي: معشر أهل السنة والجماعة، أصحاب الأثر. **(بذا)** أي: باعتبار ثبوت التوقيف في أسماء الباري سبحانه، منه سبحانه أو من رسوله ﷺ. **(أدلة)** جمع دليل، يعني: براهين. **(وفية)** يعني: عالية توفي بالمقصود وتكفي؛ لأن ما لم يثبت عن الشارع لم يكن مأذوناً في إطلاقه عليه، والأصل المنع.

❁ تنبيهات ❁

الأول: إذا كانت الصفة منقسمة إلىٰ كمال، ونقص؛ لم تدخل بمطلقها

في أسمائه تعالىٰ، بل يطلق عليه منها كمالها، (فيطلق عليه أنه سميع، بصير، قادر، وما إلىٰ ذلك من صفات الكمال، ولا يطلق عليه الفاعل، الصانع)[1]، ثم إنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق، نحو: المضل، والفاتن، والماكر، بل لا بد من إطلاقه مقيداً كما ورد في النص مثل قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران].

قال سعد الدين التفتازاني: لا يكفي في صحة الاجتراء علىٰ الإطلاق مجرد وقوعها في الكتاب والسنة بحسب ما اقتضاه المقام، وانتساق الكلام، بل يجب أن لا يخلو عن نوع تعظيم، ورعاية أدب.

الثاني: أن الاسم! إذا أُطلق علىٰ الله تعالىٰ جاز أن يشتق منه المصدر والفعل مثل[2]: السميع، والبصير، والقدير، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ١] وغير ذلك.

الثالث: أن أسماء الله كلها حسنىٰ، وأمره سبحانه كله مصدره أسمائه الحسنىٰ، فأمره كله مصلحة، وحكمة، ولطف، وإحسان، إذ مصدره أسماؤه الحسنىٰ، وفعله سبحانه كله لا يخرج عن العدل، والحكمة، والمصلحة، والرحمة إذ مصدره أسماؤه الحسنىٰ أيضاً.

الرابع: أن الشر لا يدخل في أسمائه مطلقاً، فالشر ليس إليه، ولا يدخل في أفعاله، ولا يضاف إليه سبحانه فعلاً، ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته، وفرق بين الفعل، والمفعول، فالشر قائم بمفعوله ﷻ المباين له، وليس الشر قائماً بفعله الذي هو فعله.

الخامس: أن الإلحاد في أسماء الله الحسنىٰ المقصود في قوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] هو العدول بها، وبحقائقها، ومعانيها، عن الحق الثابت لها بأنواع من العدول.

الأول: أن تسمىٰ الأصنام بها؛ كتسميتهم اللات، والعزىٰ من الإلـٰهية ومن العزيز، فهذا إلحاد.

---

(١) هذه العبارة ليست للمؤلف، إنما هي مفهوم من كلام طويل له.

(٢) هذه العبارة ليست من كلام المؤلف، إنما هي كلامي مختصراً لكلامه الطويل، محافظاً علىٰ المعنىٰ العام.

الثاني: تسمية الله سبحانه بما لا يليق بجلاله؛ كقول النصارىٰ: إنه الأب، وقول الفلاسفة: إنه العلة الفاعلة.

الثالث: وصفَه بالنقائص؛ كقول اليهود: إنه فقير.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها؛ كقول الجهمية: إنه سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وحي بلا حياة، وغير ذلك.

الخامس: تشبيه صفاته ﷻ بصفات خلقه.

* فصل *

في بحث صفات مولانا ﷻ

اعلم أن التوحيد ثلاثة أقسام:

(١) توحيد الربوبية. (٢) توحيد الإلٰهية. (٣) توحيد الصفات.

فتوحيد الربوبية: أن لا خالق، ولا رازق، ولا محيي، ولا مميت، ولا موجد، ولا معدم إلا الله ﷻ، وتوحيد الإلٰهية؛ إفراده تعالىٰ بالعبادة، والتأله له، والخضوع، والذل، والحب، والافتقار، والتوجه إليه تعالىٰ، وتوحيد الصفات؛ أن يوصف الله تعالىٰ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه ﷺ نفياً وإثباتاً، وهذه طريقة السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

(٣٦) لـه الـحـيـاة والـكـلام والـبـصـر ــــ سـمـع إرادة وعـلـم واقـتـدر

(له الحياة) أي: لله ﷻ صفة الحياة، وهي صفة ذاتية، ثبوتية، قديمة، أزلية، تقتضي صحة العلم والقدرة، لاستحالة قيامهما بغير الحي، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. **(والكلام)** أي: وله ﷻ صفة الكلام، فهو متكلم بكلام، قديم، ذاتي، غير مخلوق؛ منه بدأ، وإليه يعود، وهو صفة ذات وفعل معاً؛ قال تعالىٰ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] والله سبحانه يتكلم بحرف، وصوت، وليس هذا تشبيه لأن التشابه في أصل الحقائق ليس بالتشبيه المنهي عنه، قال الإمام ابن قدامة: (الاتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه، كما أن اتفاق البصر في أنه إدراك المبصرات، والسمع في أنه إدراك المسموعات، والعلم في أنه إدراك المعلومات ليس بتشبيه، كذلك هذا). **(والبصر)** أي: وله ﷻ صفة **البصر**، وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالىٰ تتعلق بالمبصرات، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء]. **(سمع)** وكذلك له صفة السمع، وهي صفة قديمة تتعلق بالمسموعات،

والسمع، والبصر صفتان زائدتان علىٰ الذات، عند أهل السنة كسائر الصفات، وليسا راجعين إلىٰ العلم بالمسموعات والمبصرات، خلافاً للفلاسفة، ولا يلزم من قدم السمع، والبصر قدم المسموعات والمبصرات، كما لا يلزم من قدم العلم، والقدرة؛ قدم المعلومات، والمقدورات لأنها صفات قديمة تحدث لها تعلقات بالحوادث. **(إرادة)** وكذلك له سبحانه صفة الإرادة بمعنىٰ: المشيئة، والإرادة توجب تخصيص أحد المقدورين في أحد الأوقات. وهي صفة قديمة أزلية، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يٰس]. **(وعلم)** أي: وله ﷻ صفة العلم، وهي صفة قديمة ذاتية تنكشف بها له المعلومات عند تعلقها بها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة]. **(واقتدر)** أي: أنه سبحانه اقتدر علىٰ إيجاد الموجودات.

(٣٧) بقدرة تعلقت بممكن كذا إرادة فعِ واستبن

(بقدرة) أي: أنه سبحانه اقتدر علىٰ إيجاد الموجودات بصفة القدرة، وهي صفة أزلية تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها، فإنه سبحانه قادر علىٰ جميع الممكنات. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة]. **(تعلقت)** أي: أن قدرة الله سبحانه تتعلق. **(بممكن)** أي: بكل ممكن، والممكن هو: ما ليس بواجب الوجود، ولا مستحيل الوقوع؛ فالقدرة لا تتعلق بواجب، ولا تتعلق بمستحيل. **(كذا)** أي: مثل القدرة في التعلق بالممكنات. **(إرادة)**: الإرادة، والقدرة غير متناهيتي المتعلقات إلا أن تعلق القدرة بالممكنات تعلق إيجاد وإعدام، وتعلق الإرادة بالممكنات تعلق تخصيص. **(فع)** من وعاه يعيه، أي: احفظ. **(واستبن)** أي: اطلب البيان من مظانه، واطلب الإيضاح من مكامنه.

(٣٨) والعلم والكلام قد تعلقا بكل شيء يا خليلي مطلقا

(والعلم) أن علم الله تعالىٰ. **(والكلام)** أي: كلامه سبحانه. **(قد تعلقا)** أي: علم الله، وكلامه كل واحد منهما قد تعلق. **(بكل شيء)** من الأشياء الجائزات، والواجبات، والمستحيلات، وعلمه سبحانه غير مُتَناهٍ، من حيث تعلقه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة] وقال: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴿٣﴾﴾ [سبأ] وقال: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر].

(يا خليلي) أي: يا صديقي، ومحبي، مشتق من الخلة وهي توحيد المحبة، فالخليل هو الذي يوحد حبه لمحبوبه، وهي رتبة لا تقبل المشاركة. **(مطلقاً)** أي: مطلقاً عن التقييد بواحد من الثلاثة بل يعمها جميعاً الجائزات، والمستحيلات، والواجبات.

❁ تنبيهات ❁

الأول: زعمت الفلاسفة أنه تعالىٰ لا يعلم الجزئيات من حيث كونها جزئيات زمانية يلحقها التغير، قالوا لأن تغير المعلوم يستلزم تغير العلم، وذلك يستلزم تغير الذات، وهو محال علىٰ الله تعالىٰ، والجواب عن هذه الشبهة أن المتغير هو تعلق العلم لا نفي العلم، وتغاير الإضافات، والنسب جائز.

وهذه المسألة هي إحدىٰ المسائل التي كفّر أهل الإسلام الفلاسفة بها.

الثاني: وقالت فرقة غير الفلاسفة: إن الله لا يعلم نفسه، واحتجوا بأن العلم نسبة عارضة للعالم بالنسبة إلىٰ المعلوم، والنسبة إنما تتحقق بين المتغايرين فلا تتحقق عند عدم المغايرة. والجواب عنه: بأنه صفة لا نسبة بل صفة ذات، وأيضاً ينتقض ما زعموه بعلمنا فإن كل واحد منا يعلم نفسه ضرورة مع عدم المغايرة.

الثالث: معنىٰ تعلق علمه تعالىٰ بالمستحيل، علمه تعالىٰ باستحالته، وأنه لو تصور متصور وقوعه؛ لزمه من الفساد كذا، وكذا.

الرابع: أن علم الله السابق محيط بالأشياء علىٰ ما هي عليه، ولا محو فيه، ولا تغيير، ولا زيادة، ولا نقصان؛ فإنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف كان يكون.

(٣٩) وسمعه سبحانه كالبصر بكل مسموع وكل مبصر

(وسمعه سبحانه) أي صفة سمعه ﷻ. **(كالبصر)** في تعلقها بالأشياء. **(بكل مسموع)** يعني: بكل شيء مسموع. **(وكل مبصر)** يعني: وبكل شيء مبصر، فهو تعالىٰ سميع بصير.

* * * * *

الورد الخامس

(٤٠) وأن مـا جـاء مـع جـبـريـل	مـن مـحـكـم الـقـرآنِ والـتـنـزيـلِ
(٤١) كـلامُـهُ سـبـحـانَـهُ قـديـمُ	أعـيـا الـورىٰ بـالـنَّـص يـا عـلـيـمُ
(٤٢) وليس في طوق الوَرىٰ من أصله	أن يـسـتـطـيـعُـوا سـورةً مـن مـثـلـهِ
(٤٣) ولـيـس ربُّـنـا بـجـوهـر ولا	عرضٌ ولا جسمٌ تعالىٰ ذو العُلىٰ
(٤٤) سبحانهُ قد استوىٰ كما ورد	من غَيْرِ كَيْفٍ قد تَعالىٰ أن يُحَدّ
(٤٥) فـلا يُـحـيـط عِـلْـمُـنـا بـذاتـهِ	كـذاك لا يـنـفَـكُّ عـن صـفـاتـهِ
(٤٦) فكُلُّ ما قد جاء في الدَّليلِ	فـثـابـتٌ مـن غـيـر مـا تـمـثـيـلِ
(٤٧) من رحمة ونحوها كوجهه	ويـده وكـل مـا مـن نـهـجـه
(٤٨) وعـيـنِـه وصـفـةِ الـنُّـزُولِ	وخـلـقِـه فـاحـذرْ مـن الـنُّـزُولِ
(٤٩) فـسـائـر الـصـفـات والأفـعـالِ	قـديـمـةٌ لـلّـهِ ذي الـجـلالِ
(٥٠) لـكـن بـلا كـيـفٍ ولا تـمـثـيـلِ	رغـمـاً لأهـل الـزيـغِ والـتـعـطـيـلِ

○ ○ ○ ○ ○

* فصل *

في مبحث القرآن العظيم والكلام المنزل القديم

(٤٠) وأن مـا جـاء مـع جـبـريـل — مـن مـحـكـم الـقـرآن والـتـنـزيـل

(وأن) أي: نجزم، ونتحقق. **(ما جاء)** أي: الوحي، والكلام الذي جاء من الله. **(مع جبريل)** جبريل هو الملك المكرم، أمين الله علىٰ وحيه لأنبيائه، ورسله، وفيه لغات عديدة منها: جبرائيل. **(من محكم القرآن)** أي: من آيات القرآن المحكم العظيم. **(والتنزيل)** يعني: ومحكم التنزيل الذي أنزله الله تعالىٰ

علىٰ نبيه محمد ﷺ، بواسطة جبريل عليه السلام؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإنسان].

(٤١) كلامُهُ سبحانَهُ قديمُ أعيا الورىٰ بالنَّص يا عليمُ

(كلامه سبحانه قديم) قال أبو حامد الأسفراييني: (مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعاً من الله تعالىٰ، والنبيُّ ﷺ سمعه من جبريل عليه السلام والصحابة رضي الله عنهم سمعوه من النبي ﷺ، وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا، وفيما بين الدفتين، وما في صدورنا مسموعاً، ومكتوباً، ومحفوظاً ومقروءاً، وكل حرف منه كالباء، والتاء كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله، والملائكة، والناس أجمعين). **(أعيا)** يعني: أعجز. **(الورىٰ)** أي: جميع الخلق من الإنس والجن. **(بالنص)** يعني: بنص القرآن. **(يا عليم)** أي: يا عالم، والعليم صفة مبالغة. قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

(٤٢) وليس في طوق الورىٰ من أصله أن يستطيعوا سورة من مثله

(وليس في طوق الورىٰ) أي: وليس في استطاعة جميع الخلق ولو بذلوا جهدهم بغاية ما يمكنهم. **(من أصله)** أي: من أول الخلق إلىٰ آخرهم. **(أن يستطيعوا سورة من مثله)** أي: ليس في طوق الخلق الإتيان بأقصر سورة من القرآن، فالله سبحانه قد تحدىٰ به العرب أهل الفصاحة، والبلاغة، واللسن؛ فاعترفوا بالعجز عن الإتيان بمثله. قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة].

(٤٣) وليس ربنا بجوهر ولا عرضٌ ولا جسم تعالىٰ ذو العلىٰ

(وليس ربنا بجوهر) الجوهر في اصطلاح المتكلمين: هو الشيء الذي لا يقبل الانقسام؛ لا فعلاً، ولا وهماً، ولا فرضاً، ويسمىٰ الجزء الذي لا يتجزأ. **(ولا عرض)** أي: وكذلك فربنا ليس بعرض، والعرض هو: ما لا يقوم

بذاته بل يقوم بغيره، ولا يمكن تعقله بدون المحل؛ كاللون فإنه لا يقوم إلا بجسم مادي. **(ولا جسم)** أي: وليس ربنا بجسم، والجسم هو: ما تركب من جزأين فصاعداً[1]. **(تعالىٰ ذو العلىٰ)** أي: تعالىٰ ربنا، وتقدس، وذو العلىٰ يعني: صاحب المكانة العلية في ذاته، وصفاته.

(٤٤) سبحانه قد استوىٰ كما ورد   من غير كيف قد تعالىٰ أن يحد

(سبحانه) يعني: ننزه الله تعالىٰ. **(قد استوىٰ)** أي: استوىٰ علىٰ عرشه؛ استواء يليق بذاته. **(كما ورد)** يعني: كما جاء في القرآن العظيم، والأحاديث النبوية الصحيحة، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤] وقال ﷺ لسعد بن معاذ حينما حكم علىٰ اليهود: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة ـ وفي لفظ ـ من فوق سبع سماوات» متفق عليه. إذا علمت هذا، فاعلم أن كثيراً من الناس يظنون أن القائل بالجهة، أو الاستواء، هو من المجسمة لأنهم يتوهمون أن من لازم ذلك التجسيم، وهذا وهم فاسد، وظن كاذب، فإن لازم المذهب ليس بمذهب عند أئمة أهل التحقيق. **(من غير كيف)** عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، والبحث عنه كفر). **(قد تعالىٰ)** أي: تعالىٰ الله ﷻ. **(أن يحدّ)** أي: لا يلزم من استوائه سبحانه أنه محدود، فكما أنه تعالىٰ موصوف بالعلم، والبصر، والقدرة، ولا يثبت لذلك خصائص الأعراض التي للمخلوقين، فكذلك سبحانه هو فوق عرشه ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوقين علىٰ المخلوق، تعالىٰ الله عن ذلك.

---

(١) الحق أن الجسم من الألفاظ المبهمة التي يُسأل عنها، فإن أرادوا منها ما يقتضي نقصاً لله، فهو منفي عنه سبحانه، وإن أرادوا به معنىً ليس فيه نقص للذات الإلٰهية فلا ننفيه، وهنا نفاه المؤلف، لأنه بنىٰ تعريفه على ما تركب من جزأين فصاعداً، ويبدو أنه فسّر التركيب بما يحتاج أحد الجزأين للآخر في وجود الكل، فيعقل بينها الانفصال. وليس من شأن هذا المختصر تفصيل القول في هذا، فيحال القارئ الراغب في الزيادة إلى المطولات من كتب العقيدة السلفية.

(٤٥) فلا يحيط علمنا بذاته كذاك لا ينفك عن صفاته

(فلا يحيط علمنا) أي: لا يمكننا نحن البشر، وكذلك الجن، والملائكة، ولو بذلنا في تحصيل ذلك كل أعمارنا فإننا لا ندرك بعقولنا العلم. **(بذاته)** أي: لا ندرك ذاته المقدسة، ولا نحيط بها. **(كذاك)** أي: كما أن علمنا لا يحيط بالذات المقدسة. **(لا ينفك)** لا يخلص، ولا يزول. **(عن صفاته)** أي: صفاته تعالىٰ الذاتية، والفعلية، فذاته تعالىٰ ليست كذوات المخلوقين، وصفاته ليست كصفات المخلوقين.

(٤٦) فكل ما قد جاء في الدليل فثابت من غير ما تمثيل

(فكل ما قد جاء في الدليل) أي: كل نص ورد به القرآن، أو السنة في صفة من صفات الله تعالىٰ. **(فثابت)** أي: فهو نثبته له سبحانه. **(في غير ما)** ما زائدة للتأكيد في النص. **(تمثيل)** أي: بلا تمثيلٍ، ولا تأويل، روىٰ اللالكائي قال: (اتفق الفقهاء كلهم من المشرق، والمغرب علىٰ الإيمان بالصفات من غير تفسير، ولا تشبيه).

(٤٧) من رحمة ونحوها كوجهه ويده وكل ما من نهجه

(من رحمة) الرحمة: صفة لله ﷻ، قديمة، قائمة بذاته تعالىٰ، تقتضي التفضل، والإنعام، قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وأسماء الله ﷻ تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال، ولا تؤخذ باعتبار المبادئ التي هي انفعالات. **(ونحوها)** أي: مثل الرحمة، من المحبة، والرضا، والغضب، قال تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. **(كوجهه)** أي: صفة الوجه، فنثبت له هذه الصفة، كغيرها من الصفات، دون تكييف، ولا تحديد؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف؛ فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف. قال تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٢٧]، قال البيهقي في هذه الآية: (فأضاف الوجه إلىٰ الذات، وأضاف النعت إلىٰ الوجه، فقال: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٧] ولو كان ذكر الوجه صلة، ولم يكن صفة للذات لقال ذي الجلال، فلما قال ذو الجلال علمنا أنه نعت للوجه، وأن الوجه صفة للذات).

(ويده) يعني: وكصفة اليد لله ﷻ، والتي جاء بها النص الكريم قال تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وفي «الصحيحين» من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «الْتَقىٰ آدَمُ وَمُوسىٰ، فقال مُوسىٰ: أَنْتَ الَّذِيْ خَلَقَكَ اللهُ بيدِهِ»[(١)]. **(وكل ما من نهجه)** أي: وكل شيء وارد من صفات الله تعالىٰ: علىٰ نهج صفة اليد، والوجه، ونحوهما؛ كالرجل، والقدم، والصورة، وغيرهما.

(٤٨) وعينه وصفة النزول وخلقه فاحذر من النزول

(وعينه) ونحو عينه، فهي صفة قديمة ذاتية نثبتها من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا إلحاد، ولا تعطيل بل نقرها، ونؤمن بها؛ ونسلم بها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ [طه].

وفي «الصحيحين» لما ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال ﷺ: «إنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَر»[(٢)]. **(وصفة النزول)** أي: نزول الله ﷻ، فالنزول صفة قديمة له ﷻ: روىٰ البخاري في «صحيحه» عن النبي ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنا تبارك وتعالىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إلىٰ السَّماءِ الدُّنْيا»[(٣)].

قال الفضيل بن عياض: (إذا قال لك الجهميّ: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل: أنا أومن برب يفعل ما يشاء)، وقال أبو الطيب: حضرت عند أبي جعفر الترمذي وهو من كبار فقهاء الشافعية، وأثنىٰ عليه الدارقطني وغيره، فسأله سائل في حديث: «إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا» وقال له: فالنزول كيف يكون، يبقىٰ فوقه علو؟ فقال أبو جعفر الترمذي: (النزول

---

(١) بهذا اللفظ في حديث واحد لا يوجد.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الجهاد والسير باب كيف يعرض الإسلام على الصبيّ برقم ٢٨٩٢، وهو حديث طويل، وكذلك في كتب «السنن».

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الجمعة باب الدعاء والصلاة من آخر الليل برقم ١٩٠٤.

معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة). فقد قال في النزول كما قال مالك في الاستواء، وهكذا القول في سائر الصفات. وقال إسحاق بن إبراهيم بن راهويه: (لا يجوز الخوض في أمر الله، كما يجوز الخوض في أمر المخلوقين لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء]، ولا يجوز أن يتوهم علىٰ الله بصفاته، وأفعاله توهم ما يجوز التفكر والنظر في أمر المخلوقين، وذلك أنه يمكن أن يكون الله موصوفاً بالنزول كل ليلة إذا مضىٰ ثلثها إلىٰ السماء الدنيا كما شاء، ولا يسأل كيف نزوله؛ لأن الخالق يصنع ما يشاء كما يشاء). **(وخلقه)** أي: وصفة الخلق له سبحانه، والخلق هو: إخراج المعدوم من العدم إلىٰ الوجود. **(فاحذر من النزول)** أي: احذر من النزول من ذروة الإيمان، وسنام الدين، إلىٰ حضيض الابتداع، وقاذورات الاختراع؛ فإن السلامة كل السلامة في اتباع الرعيل الأول.

(٤٩) فسائر الصفات والأفعال قديمة لله ذي الجلال

(فسائر الصفات) أي: جميع الصفات الذاتية؛ من الحياة، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، وغيرها، وسائر الصفات الخبرية؛ من الوجه، واليدين والقدم، والعينين، ونحوها. **(والأفعال)** وكذلك جميع صفات الأفعال؛ من الاستواء، والنزول، والإتيان، والمجيء ونحوها. **(قديمة لله)** أي: هي صفات، قديمة، لله، كما هو معتقد السلف. **(ذي الجلال)** يعني: صاحب الجلال والإكرام.

(٥٠) لكن بلا كيف ولا تمثيل رغماً لأهل الزيغ والتعطيل

(لكن) بإسكان النون. **(بلا كيف ولا تمثيل)** بل بالإتيان، والاعتراف، والإقرار، والإذعان، بموجب ما دلت عليه النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية. **(رغماً)** أي: لأجل رغم أنوف. **(أهل الزيغ)** أي: أهل الميل، والانحراف عن منهج أهل الحق، يقال زاغ إذا مال. **(والتعطيل)** ورغم أنوف أهل التعطيل، من الطوائف الضالة، والفرق المائلة، فمذهب السلف هو حق بين باطلين، وسنة بين بدعتين، فإن من الناس من حمل النصوص علىٰ

التشبيه، والتمثيل، فضلّ وأضل، ومنهم من حمل النصوص علىٰ التحريف، والتعطيل؛ فألحد، وانفصل عن الحق، وأهل الحق أثبتوا النصوص، واعتقدوها بلا تكييف.

* * * * *

الورد السادس

(٥١) فَمُرْها كما أَتَتْ في الذِّكْر   من غير تأويلٍ وغيرِ فِكْرِ
(٥٢) ويستحيلُ الجهلُ والعجزُ كما   قد استحال الموتُ حقاً والعَمىٰ
(٥٣) فكل نقص قد تعالىٰ اللهُ   عنه فيا بشرىٰ لمن والاه
(٥٤) وكلُّ ما يُطْلَبُ فيه الجزمُ   فمنعُ تقليدٍ بذاك حتمُ
(٥٥) لأنَّهُ لا يُكتفىٰ بالظنِّ   لذي الحِجىٰ في قول أهلِ الفنِّ
(٥٦) وقيل يكفي الجزمُ إجماعاً بما   يُطْلَبُ فيه عند بعضِ العُلَما
(٥٨) وسائرُ الأشياءِ غير الذّاتِ   وغير ما الأسماءِ والصفاتِ
(٥٩) مخلوقةٌ لربِّنا من العدم   وضلَّ من أثنىٰ عليْها بالقِدَم

○ ○ ○ ○ ○

(٥١) فمرها كما أتت في الذكر   من غير تأويل وغير فكر

(**فمرها**) أي: أمرر آيات الصفات، وأخبارها، ولا تتعرض لكيفيتها. (**كما أتت في الذكر**) يعني: كما جاءت تلك الآيات في القرآن، والحديث الصحيح. (**من غير تأويل وغير فكر**) يعني: دون أن تؤلها، أو تحاول البحث عنها بعقلك؛ فليس في طوق البشر معرفة كيفيتها.

(٥٢) ويستحيل الجهل والعجز كما   قد استحال الموت حقاً والعمىٰ

(**ويستحيل**) أي: يستحيل في حق الله ﷻ أضداد الصفات التي اتصف بها مثل: (**الجهل**) الذي هو ضد صفة العلم. (**والعجز**) الذي هو ضد صفة القدرة. (**كما قد استحال**) أي: كما أنه قد استحال في حقه ﷻ، (**الموت**) الذي هو ضد صفة الحياة. (**حقاً**) مصدر بمعنىٰ حق ذلك حقاً. (**والعمىٰ**) أي: ويستحيل في حقه ﷻ العمىٰ الذي هو ضد صفة البصر، وكذا يستحيل عليه

تعالىٰ الصمم الذي هو ضد السمع، ويستحيل عليه البكم الذي هو ضد الكلام، ويستحيل عليه الفناء الذي هو ضد البقاء، ويستحيل عليه العدم الذي هو ضد الوجود، ويستحيل عليه الفقر الذي هو ضد الغنىٰ. قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم].

(٥٣) فكل نقص قد تعالىٰ الله عنه فيا بشرىٰ لمن والاه

(فكل نقص) يعني: فكل صفة نقص من تلك النقائص المذكورة. **(قد تعالىٰ الله عنه)** أي: قد تنزه الله ﷻ عنه؛ لأنه له الكمال المطلق، فكل كمال لا يؤدي إلىٰ نقص ما؛ فالله أولىٰ به من خلقه، وكل نقص فالله منزه عنه. **(فيا بشرىٰ)** أي: فيا بشارة. **(لمن والاه)** أي: لأي شخص قد والاه الله، أو والىٰ هو الله أي: اتخذه ولياً، معتمداً عليه، ومفوضاً جميع أموره إليه.

روىٰ البخاري في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالىٰ قال: مَنْ عادىٰ لي وَلِيّاً فقد آذَنْتُهُ بالحرب»[1].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس].

* فصل *

في صحة إيمان المقلد وعدمها

(٥٤) وكل ما يطلب فيه الجزم فمنع تقليد بذاك حتم

(وكل ما) يعني: كل اعتقاد. **(يطلب فيه الجزم)** أي: يطلب في ذلك الاعتقاد مثل معرفة الله، وما يجب له، وما يستحيل عليه، وما يجوز له. يطلب في هذه، ومثيلاتها؛ من الإنسان أن يكون جازماً فيها جزماً لا يحتمل النقيض عنده. **(فمنع تقليد)** التقليد هو: أخذ مذهب الغير، واعتقاد صحته، واتباعه عليه بلا دليل، فهذا التقليد ممنوع. **(بذاك)** أي: بما يطلب فيه الجزم، ولا يكتفىٰ فيه بالظن. **(حتم)** أي: لازم واجب.

---

(١) أخرجه البخاري في«صحيحه» في كتاب الرقائق بألفاظه برقم ٦١٣٧.

(٥٥) لأنه لا يُكتفىٰ بالظن لذي الحِجىٰ في قول أهل الفن

(لأنه) يعني: لأن ذلك الأمر الذي قلد فيه. **(لا يكتفىٰ بالظن)** أي: لا يكفي فيه الظن، والظن هو: ترجيح أحد الطرفين علىٰ الآخر، فالراجح هو الظن، والمرجوح هو الوهم. **(لذي الحجىٰ)** أي: لصاحب العقل، والفطنة. **(في قول أهل الفن)** أي: وهذا المنع للتقليد في مسائل العقيدة، هو قول علماء المنقول، والمعقول؛ من الأصوليين، والمتكلمين.

(٥٦) وقيل يكفي الجزم إجماعاً بما يطلب فيه عند بعض العلما

(وقيل يكفي) أي: وهناك من يرىٰ أنه يكتفىٰ في أصول الدين. **(الجزم)** ولو حصل بالتقليد. **(إجماعاً)** بطريق الإجماع. **(بما يطلب)** بما يجب أن يجزم فيه. **(فيه)** أي: في ذلك الأمر المطلوب اعتقاده. **(عند بعض العلما)** أي: بعض العلماء الحنابلة، والشافعية، والمعتزلة، وغيرهم، قال العنبري، وغيره: (يجوز التقليد في أصول الدين، ولا يجب النظر؛ اكتفاء بالعقد الجازم؛ لأنه ﷺ كان يكتفي في الإيمان من الأعراب ـ وليسوا أهلاً للنظر ـ بالتلفظ بكلمتي الشهادة المنبئ عن العقد الجازم).

(٥٧) فالجازمون من عوام البشر فمسلمون عند أهل الأثر

(فالجازمون) أي: الذين يجزمون في مسائل العقيدة، ولو تقليداً. **(من عوام البشر)** يعني بهم: الذين ليسوا بأهل للنظر، والاستدلال، بما لا يتم الإسلام بدونه. **(فمسلمون عند أهل الأثر)** يعني: فعلىٰ الرأي الراجح الصواب هم مسلمون، وإن عجزوا عن بيان ما لا يتم الإسلام إلا به.

والخلاصة أن النظر ليس بشرط في حصول المعرفة مطلقاً، وإنما يتعين النظر علىٰ من لا طريق له سواه، بأن بلغته دعوة النبي ﷺ، ولم يحصل له العقد الجازم ابتداء تقليداً فيجب عليه النظر حتىٰ يظهر له حقيقة الإسلام، إذ الإعراض غير جائز، فمثل هذا الشخص النظر عليه واجب إجماعاً، وأما المقلد الذي يؤمن بما جاء به النبي ﷺ أول ما بلغته دعوته، وصدق به تصديقاً جازماً بلا تردد، فمع صحة إيمانه بالاتفاق؛ لا يأثم بترك النظر، وإن كان ظاهر ما تقدم الإثم مع حصول الإيمان؛ لأن المقصود، الذي لأجله طلب النظر من المكلف، وهو التصديق الجازم، قد حصل بدون النظر فلا حاجة إليه.

الباب الثاني

في الأفعال المخلوقة

(٥٨) وسائر الأشياء غير الذات وغير ما الأسماء والصفات

(وسائر الأشياء) أي: بقية الأشياء. **(غير الذات)** أي: غير ذات الله تعالىٰ. **(وغير ما)** أي: وكذلك غير، وما زائدة، تفيد تأكيد النفي. **(الأسماء)** أي: غير الأسماء؛ أسماء الله تعالىٰ فإنها قديمة كالذات. **(والصفات)** أي: وغير صفاته تعالىٰ؛ الذاتية منها، والخبرية، التي ثبتت في الكتاب والسنة.

(٥٩) مخلوقة لربنا من العدم وضل من أثنىٰ عليها بالقدم

(مخلوقة لربنا) أي: ربنا ﷻ هو خالقها. **(من العدم)** أي: من لا شيء، فقد سبقها العدم المحض، وهذا هو الذي دلت عليه الكتب المنزلة، وأخبرت به الرسل المرسلة، وعليه سلف الأمة، وأئمتها، وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف. **(وضل)** أي: مال عن الصراط المستقيم. **(من أثنىٰ عليها)** أي: كل من وصفها، وحكم عليها. **(بالقدم)** أي: قال إنها قديمة لم يخلقها الله ﷻ، كأرسطو من الفلاسفة، وغيره؛ فقد ضل، وأضل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ في كتابه «شرح الأصفهانية»: (أول من عرف عنه القول بقدم العالم أرسطو، وكان ضالاً مشركاً يعبد الأصنام).

* * * * *

الورد السابع

(٦٠) وربُّنا يخلق باختيار — من غير حاجةٍ ولا اضطرارِ
(٦١) لكنه لا يخلق الخلقَ سُدىٰ — كما أتىٰ في النصِّ فاتَّبِعِ الهُدىٰ
(٦٢) أفعالنا مخلوقةٌ للّهِ — لكنَّها كَسْبٌ لَنا يا لاهِي
(٦٣) وكلُّ ما يفعلُهُ العبادُ — من طاعةٍ أو ضِدَّها مُرادَ
(٦٤) لِرَبِّنا من غيرِ ما اضطرارِ — منه لَنا فافهمْ ولا تُمارِ
(٦٥) وجازَ للمَوْلىٰ يُعذبَ الوَرىٰ — من غيرِ ما ذنبٍ ولا جرم جرىٰ
(٦٦) فكل ما منه تعالىٰ يجمُلُ — لأنه عن فعلِهِ لا يُسْئَلُ
(٦٧) فإن يُثِبْ فإنَّهُ من فضلِهِ — وإن يُعَذِّبْ فبمحضِ عَدْلِهِ
(٦٨) فلم يَجِبْ عليهِ فعلُ الأصلحِ — ولا الصلاحِ ويحَ من لم يُفْلِحِ
(٦٩) فكلُّ من شاء هداه يَهْتَدِي — وإن يُرِدْ ضَلالَ عبدٍ يعتدِ

○ ○ ○ ○ ○

(٦٠) وربنا يخلق باختيار — من غير حاجة ولا اضطرار

(وربنا يخلق) أي: يخلق ما شاء من سائر مخلوقاته. **(باختيار)** أي: باختيار منه ﷻ، فهو ﷻ لم يزل فاعلاً لما يشاء، وأنه تقوم بذاته الأمور الاختيارية. **(من غير حاجة)** أي: أنه سبحانه يخلق الخلق ليس لحاجته إليه. **(ولا اضطرار)** أي: وليس لإكراه عليه، فالحاجة: المصلحة، والمنفعة. والاضطرار هو: الإلجاء، والإحواج، والإلزام، والإكراه. فلا حاجة باعثة له ﷻ علىٰ خلقه للخلق، ولا مكره له عليه، بل خلق المخلوقات، وأمر بالمأمورات، لمحض المشيئة، وصرف الإرادة.

(٦١) لكنه لا يخلق الخلق سدىٰ   كما أتىٰ في النص فاتبع الهدىٰ

(لكنه لا يخلق الخلق سدىٰ) أي: لكنه ﷻ لا يخلق المخلوقات هملاً بلا أمر، ولا نهي، ولا حكمة. **(كما أتىٰ في النص)** أي: كما جاء في النص القرآني، والسنة النبوية، أن الله ﷻ لا يفعل إلّا لحكمة، وإن تقاصرت عن إدراكها عقول البشر. **(فاتبع الهدىٰ)** أي: فالزم ما جاء في المأثور واتبع السلف الصالح، ولا تجحد حكمته.

(٦٢) أفعالنا مخلوقة للّه   لكنها كسب لنا يا لاهي

(أفعالنا) أي: أفعالنا نحن معشر الخلق، جميعها خيرها، وشرها، كبيرها، وصغيرها. **(مخلوقة لله ﷻ)** أي: خلقها الله ﷻ وأوجدها، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات]. **(لكنها)** أي: أفعالنا التي تصدر عنا في بادي الرأي. **(كسب لنا)** الكسب في اصطلاح المتكلمين هو: ما وقع من الفاعل، مقارناً لقدرة محدثة، واختيار. **(يا لاهي)** أي: يا أيها الملتهي، انتبه إلىٰ هذه المسائل المهمة.

فللعباد أفعال اختيارية يثابون بها؛ إن كانت طاعة، ويعاقبون عليها؛ إن كانت معصية، لا كما زعمت الجبرية أنه لا اختيار للعبد أصلاً، وأن حركاته بمنزلة حركات الجمادات، لا قدرة عليها، ولا قصد، ولا اختيار، وهذا باطل لأنا نفرق بين حركة البطش، وحركة الارتعاش، ونعلم أن الأول باختياره دون الثاني، ولأنه لو لم يكن للعبد فعل أصلاً، لما صح تكليف، ولا يترتب عليه استحقاق الثواب، والعقاب علىٰ أفعاله.

(٦٣) وكل ما يفعله العباد   من طاعة أو ضدها مراد

(وكل ما يفعله العباد من طاعة) أي: وكل الذي يفعله العباد من الطاعة، والطاعة هي ما تكون متعلقة المدح في العاجل، والثواب في الآجل. **(أو ضدها)** أي: وكل ما يفعله من ضد الطاعة يعني: المعصية، والمعصية هي ما فيه ذم في العاجل، والعقاب، أو اللوم في الآجل. **(مراد)** أي: مطلوب، وداخل في إرادة الله ﷻ.

(٦٤) لربنا من غير ما اضطرار   منه لنا فافهم ولا تمار

(لربنا) أي: مراد لربنا يعني تحت إرادته، ومشيئته، فالله تعالىٰ خالق كل شيء، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو علىٰ كل شيء قدير. قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]. **(من غير ما اضطرار)** أي: بدون أن يجبر علىٰ ذلك، وما زائدة تفيد تأكيد النفي. **(منه لنا)** أي: بدون أن يضطرنا، ويجبرنا ﷻ، بل خلق فينا قدرة، وأقدرنا علىٰ إيقاع أفعالنا بالإذن منه، والتمكين لنا فلقدرة العبد تأثير في إيجاد فعله. **(فافهم)** يعني: فهم إذعان، وتحقيق، وتدقيق. **(ولا تمار)** المراء هو: الجدال، والمماراة هي المجادلة.

قال ﷺ: «الْمِراءُ في الْقُرْآنِ كُفْرٌ»[1].

⁕ تنبيهات ⁕

الأول: أول من تكلم في القدر ـ من العرب ـ معبد الجهني، ثم تبعه علىٰ مذهبه عمرو بن عبيد.

الثاني: في بعض ما ورد في ذم القدرية من الآثار، فقد روىٰ مسلم عن يحيىٰ بن يعمر أنه قال لعبد الله بن عمر رضي الله عنه: (أبا عبد الرحمٰن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحد ذهباً، فأنفقه ما قبل منه حتىٰ يؤمن بالقدر).

الثالث: القدرية فرقتان.

الأولىٰ: تنكر سبق العلم بالأشياء قبل وجوده، وتزعم أن الله لم يقدر الأمور أزلاً، ولم يتقدم علمه بها، وإنما يأتنفها علماً حال وقوعها، وكانوا يقولون: إن الله أمر العباد، ونهاهم، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار، حتىٰ فعلوا ذلك، فعلمه بعد ما فعلوه، ولهذا قالوا: الأمر أنف يعني أنه مستأنف.

---

(١) أخرجه أبو داود بلفظه في كتاب «السنة» برقم ٣٩٨٧ عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه، وزاد عليه الإمام أحمد في «مسنده» بلفظه عنهما برقم ٧٦٤٨ (ثلاث مرات) أي كرر النبي ﷺ للتأكيد.

الثانية: مقرون بسبق علمه تعالىٰ للأشياء مثل وجودها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم، وواقعة منهم علىٰ جهة الاستقلال عن الله ﷻ.

(٦٥) وجاز للمولىٰ يعذب الورىٰ من غير ما ذنب ولا جرم جرىٰ

(وجاز) يعني: يجوز. **(للمولىٰ)** المولىٰ اسم يقع علىٰ جماعة كثيرة، فهو: الرب، والمالك، والسيد، والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمعتق، والمنعم عليه، وأكثرها قد جاءت في الحديث فيضاف كل واحد إلىٰ ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، والمراد هنا رب العالمين. **(يعذب الورىٰ)** أي: يعذب الخلق. **(من غير ما)** يعني: من دون أن، وما زائدة تفيد تأكيد النفي. **(ذنب)** أي: إثم. **(ولا جرم)** بمعنىٰ: الذنب، والإثم، وإنما حسن عطفه علىٰ الذنب في هذا المحل لقصد البيان والإيضاح. **(جرىٰ)** يعني: صدر عن العبد، فيجوز عليه تعالىٰ عقلاً أن يثيب العاصي، وأن يعاقب الطائع، ولكنه ﷻ أخبر بإثابة المطيع، وإلا فالله ﷻ لا يجب عليه إثابة المطيع، ولا يجب عليه معاقبة العاصي.

(٦٦) فكل ما منه تعالىٰ يجمُل لأنه عن فعله لا يُسئل

(فكل ما منه تعالىٰ) يعني: أي شيء يأتي منه ﷻ من إثابة، وعقوبة، وخلق خير، وشر. **(يجمل)** أي: فهو حسن، وإن كان إثابة العاصي وعقوبة المطيع. **(لأنه عن فعله)** أي: لأنه ﷻ عن فعله الذي يصدر عنه. **(لا يسئل)** أي: لا أحد يسأله لِمَ فعل ذلك، قال تعالىٰ: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

(٦٧) فإن يُثب فإنه من فضله وإن يُعذب فبمحض عدله

(فإن يثب) أي: فإن يثب الله ﷻ عباده المطيعين، وخلقه المتقين، ويجازيهم. **(فإنه)** أي: إثابته بالخير، والجزاء الحسن. **(من فضله)** أي: من فضل الله ﷻ الزائد، وكرمه الجزيل، لأن أتقىٰ الناس، وأعبدهم لا تعادل عبادته، وتقواه، نعمة إيجاده من العدم، فضلاً عن سائر نعمه ﷻ علىٰ عبده من البصر، والسمع، وغيرهما، والفضل هو: العطاء عن اختيار. **(وإن يعذب)**

أي: وإن يعذب الله ﷻ عباده ولو المطيعين منهم. **(فبمحض)** فذلك بخالص. **(عدله)** أي: عدله تعالىٰ، فلو عذبهم لعذبهم بعدله الخالص من شائبة الظلم؛ لأنه تعالىٰ تصرف في ملكه، والعدل هو: وضع الشيء في محله من غير اعتراض علىٰ الفاعل، والظلم هو: وضع الشيء في غير محله مع الاعتراض علىٰ الفاعل. قال تعالىٰ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٧] يعني: لم تتصرف في غير ملك، بل إن عذبت عذبت من تملك.

(٦٨) فلم يجب عليه فعل الأصلح ولا الصلاح ويح من لم يُفلح

(فلم يجب عليه) أي: لم يجب علىٰ الله ﷻ. **(فعل الأصلح)** أي: فعل الأنفع للعباد. **(ولا الصلاح)** أي: ولا يجب عليه أيضاً فعل الصلاح لعباده. وقالت المعتزلة بوجوب الأصلح في الدين، وقالوا: ترك الأصلح بخل، وسفه، يجب تنزيه الباري ﷻ عنه. **(ويح)** هذه كلمة ترحم، وتوجع، تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، وضدها (ويل): فإنها تقال للحزن، والهلاك، والمشقة من العذاب. **(من لم يفلح)** أي: أي شخص، بالغ، عاقل، لم يفز بمتابعة الحق، ورفض الباطل، ومجانبة البدعة، والفلاح من الكلمات الجوامع، وهو عبارة عن أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، قالوا: فلا كلمة في اللغة أجمع للخيرات منها.

(٦٩) فكل من شاء هداه يهتدي وإن يرد ضلال عبد يعتد

(فكل من) أي: فكل آدمي من خلقه. **(شاء هداه)** أي: شاء الله هدايته، فلا يتخلف عنها، والهدىٰ هنا: التوفيق والإلهام، قال تعالىٰ: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [المدثر: ٣١]. **(يهتدي)** يعني: فإن ذلك الآدمي الذي يهديه الله فإنه يهتدي الهداية المطلوبة في قوله تعالىٰ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة] واعلم أن أنواع الهداية أربعة:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق، قال تعالىٰ: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه] فهذه الهداية، تعم هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلىٰ جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره.

الثاني: هداية البيان، والدلالة، وهذه لا تستلزم الهدىٰ التام، فإنها

سبب، وشرط لا موجب، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت (حم السجدة): ١٧]، أي: بينا لهم، وأرشدناهم، ودللناهم، فلم يهتدوا.

الثالث: هداية التوفيق، والإلهام.

الرابع: الهداية إلىٰ الجنة، والنار، إذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات].

(وإن يرد) أي: وإن يرد الله سبحانه. **(ضلال عبد)** أي: ضلال أحد عباده بأن يترك المأمور، ويرتكب المحظور. **(يعتد)** فإن ذلك العبد سوف ينتهك المحارم ويقتحم المهالك. والضلال ضد الهدىٰ.

۞ تنبيه ۞

الإرادة نوعان: إرادة كونية لا تتخلف عن مرادها، وإرادة شرعية قد تتخلف عن مرادها.

فالإرادة الكونية، قد يريد بها الله تعالىٰ من العبيد ما لا يرضاه، ولا يحبه. وأما الإرادة الدينية الشرعية، فهي ترادف الرضا، والمحبة.

* * * * *

(٧٠) والرزقَ ما ينفعَ من حلالِ	أو ضده فَحُلْ عن المحالِ
(٧١) لأنه رازق كلِّ الخلقِ	وليس مخلوقٌ بغيرِ رزقِ
(٧٢) ومن يمُتْ بقتلهِ من البشر	أو غيرهِ فبالقضاء والقَدَر
(٧٣) ولم يَفُتْ من رزقه ولا الأجل	شيءٌ فَدَعْ أهل الضلالِ والخَطَل
(٧٤) وواجبٌ على العباد طَرّا	أن يعبدوه طاعةً وبِرّا
(٧٥) ويفعلوا الفعل الذي به أمر	حتماً ويتركوا الذي عنه زَجَر
(٧٦) وكل ما قَدَّر أو قضاهُ	فواقعٌ حتماً كما قضاهُ
(٧٧) وليس واجب على العبد الرِّضا	بكل مُقْضىٰ ولكن بالقَضا
(٧٨) لأنه من فعله تعالىٰ	وذاك من فعل الذي تَقالىٰ
(٧٩) ويفسق المذنبُ بالكبيرَة	كذا إذا أصرَّ بالصَّغيرَة

○ ○ ○ ○ ○

* فصل *

في الكلام على الرزق

(٧٠) والرزق ما ينفع من حلال   أو ضده فحُل عن المحال

(والرزق ما ينفع) أي: الرزق هو: ما ينفع الإنسان، أو المرتزق عموماً.
(من حلال أو ضده) أي: سواء كان حصوله عن طريق الحلال، أو الحرام، أو كان هو في نفسه حلالاً، أم حراماً قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. (فحل) أي: ارجع. (عن المحال) أي: عن المستحيل.
ووجه كونه مستحيلاً، أنه لا أحد يبقىٰ بلا رزق، ولا يمكن إلا أن يأكل رزقه.

(٧١) لأنه رازق كل الخلق وليس مخلوق بغير رزق

(لأنه رازق كل الخلق) أي: لأنه ﷻ يرزق كل مخلوقاته كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٨]. **(وليس مخلوق بغير رزق)** أي: وليس يوجد مخلوق من سائر الحيوانات، ويبقىٰ بدون رزق. فمذهب أهل الحق، أن الله ﷻ قسم بين الخلق معايشهم في الحياة الدنيا، ومعلوم أن الحرام أيضاً معيشة لبعض المخلوقين.

(٧٢) ومن يمت بقتله من البشر أو غيره فبالقضاء والقدر

(ومن يمت بقتله) أي: ومن يمت من سائر الحيوانات بأي نوع من أنواع القتل. **(من البشر)** سواء كان ذكراً، أم أنثىٰ. **(أو غيره)** من الحيوانات العجماء. **(فبالقضاء والقدر)** أي: فموته حاصل بقضاء الله وقدره، والقضاء في اللغة هو: الحكم، وفي الاصطلاح هو: إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء، علىٰ ما هي عليه فيما لا يزال، والقدر هو ما سبق به العلم، وجرىٰ به القلم مما هو كائن إلىٰ الأبد.

(٧٣) ولم يفت من رزقه ولا الأجل شيء فدع أهل الضلال والخطل

(ولم يفت) أي: ولم يفت علىٰ المقتول، ولا غيره. **(من رزقه)** يعني: رزقه المقسوم له في علم الله ﷻ، قليلاً كان، أو كثيراً. **(ولا الأجل شيء)** أي: ولا يفوته من أجله المحتوم، ولا لحظة واحدة. **(فدع)** أي: اترك، وجانب. **(أهل الضلال)** أي: أصحاب الفرق الضالة؛ كالمعتزلة. **(والخطل)** أي: وأصحاب الخطل، الخطل هو: الخفة، والسرعة، والكلام الفاسد، ويعني بهم: الفلاسفة لسرعة كلامهم، وتنميقه، وخفته، وتزويقة، مع ما فيه من الاضطراب، وكثرة الخطأ وقلة الصواب، وكثرة التناقض، والخوض فيما لا يعلم حقيقته إلا بالتلقي عن الرسول ﷺ.

* * * * *

الباب الثالث

في الأحكام والكلام على الإيمان ومتعلقاته.

(٧٤) وواجب على العباد طرا أن يعبدوه طاعة وبِرّا

(وواجب على العباد طرا) أي: واجب على جميع العباد. **(أن يعبدوه)** أي: يعبدوه ﷻ، ولا يشركوا في عبادته. **(طاعة)** أي: لأجل الطاعة، وامتثال الأمر. **(وبرا)** أي: ولأجل البر، والإحسان، الناشئ عنهما المحبة، فهو ﷻ أهل أن يعبد، وأهل أن يكون الحب كله له، والعبادة له، حتى ولو لم يخلق جنة، ولا ناراً، ولا وضع ثواباً، ولا عقاباً.

(٧٥) ويفعلوا الفعل الذي به أمر حتماً ويتركوا الذي عنه زجر

(ويفعلوا) يعني العباد. **(الفعل الذي به أمر)** أي: الفعل الذي أمر به ﷻ، فإن كان على سبيل الحتم، والتأكيد؛ فعلوه على الوجوب، وإن كان على سبيل الندب، والإرشاد؛ فعلوه على الندب. **(حتماً)** أي: لازماً. **(ويتركوا)** أي: ويتركوا الشيء. **(الذي عنه زجر)** أي: الذي عنه نهى، لأن معنى الزجر هو: المنع.

* فصل *

في الكلام على القضاء والقدر

(٧٦) وكل ما قدر أو قضاه فواقع حتماً كما قضاه

(وكل ما) أي: وكل شيء. **(قدر أو قضاه)** أي: قدره الله سبحانه، أو قضاه، من سائر الأشياء. **(فواقع حتماً)** أي: فحاصل لازماً. **(كما قضاه)** أي: كما حكم به حسبما سبق به علمه، وجرى به القلم، في الكتاب الذي كتبه قبل أن يخلق السماوات، والأرض، والخلائق.

(٧٧) وليس واجب على العبد الرضا بكل مُقْضىً ولكن بالقضا

(وليس واجب على العبد) أي: وليس يجب على الإنسان المكلف. **(الرضا)** وهو سكون النفس، وطمأنينتها إلى قدم اختيار الله للعبد، أنه اختار له الأفضل، فيرضى به. **(بكل مقضى)** المقضى نوعان: أحدهما: ديني شرعي، والثاني: كوني قدري فأما الديني الشرعي، فالواجب على العبد أن لا يختار في هذا النوع غير ما اختاره له ربه؛ سيده كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وأما الكوني القدري كالمصائب التي يبتلي الله سبحانه عبده بها، فهذا لا يضره فراره منها إلى القدر الذي يرفعها عنه، ويكشفها. فالمقضي الذي لا يحبه الرب، ولا يرضاه مثل المعايب، والذنوب، فالعبد مأمور بسخطه، ومنهي عن الرضا به. **(ولكن بالقضا)** يعني: ولكن يجب الرضا بالقضاء، فإن لفظ الرضا بالقضاء لفظ محمود مأمور به. فالحق في هذا التفصيل، فنرضى بقضاء الله الذي هو خلقه الذي أمرنا أن نرضى به، ولا نرضى من ذلك المقضي مما نهانا عن الرضا به، فنرضى بالقضاء ونسخط من المقضي ما لا يحبه الله تعالى، ويرضاه.

(٧٨) لأنه من فعله تعالى وذاك من فعل الذي تقالى

(لأنه) يعني: لأن القضاء. **(من فعله تعالى)** أي: من فعل الله ﷻ فنرضى بفعله تعالى دون المعصية الصادرة من العبد، وهذا ونحوه لا يتماشى على أصول من يجعل محبة الرب ورضاه، ومشيئته واحدة، فإن من قال كل ما شاء الله تعالى، وقضاه فقد أحبه، ورضيه لا يحسن منه، ولا عنده هذا التفصيل، وأيضاً هذا إنما يصح عند من جعل القضاء غير المقضي، والفعل غير المفعول، وهو مذهب السلف، وأما من لم يفرق بينهما فكيف يصح هذا عنده؟ والحق كما قال ابن القيم أن الله قد يشاء ما لا يحبه، ويحب ما لا يشاء كونه، فما شاءه، ولم يحبه كوجود إبليس، وجنوده وما أحبه ولم يشأ كونه، كإيمان الكفار، وطاعات الفجار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين. **(وذاك)** أي: وذاك المقضي المبغوض لله ﷻ، ورسوله ﷺ من المعاصي، والظلم، والعدوان، ونحوها لا يرضى به العبد لأنه **(من فعل الذي تقالى)**

أي: من العقل الصادر عن الشخص الذي أتىٰ بما يبغضه الله تعالىٰ. قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالىٰ: (القضاء يراد به ثلاثة أشياء:

أحدها: الأمر، والنهي، فهذا الرضا به واجب.

والثاني: الكفر، والمعاصي، فهذا الرضا به ليس بواجب.

والثالث: المصائب التي تصيب العبد، فهل الرضا بها واجب، أو مستحب؟ قال: ثم يقال: القضاء الذي هو صفة الله الرضا به واجب، وأما المقضي وهو الكفر والمعاصي التي هي أفعال العباد، فالرضا بها ليس بواجب). ومقصوده ولا جائز.

* فصل *

في الكلام علىٰ الذنوب ومتعلقاتها

(٧٩) ويفسق المذنب بالكبيرة   كذا إذا أصر بالصغيرة

(ويفسق) أي: ويصبح المسلم المكلف فاسقاً. **(المذنب)** بارتكابه المعصية. **(بالكبيرة)** أي: كبائر الذنوب، وأصل الفسوق هو الخروج عن الاستقامة، والمذنب هو المقترف للذنب. **(كذا)** أي: مثل إتيانه الكبيرة. **(إذا أصر)** أي: أصر علىٰ الجريمة التي هي. **(بالصغيرة)** أي: صغائر الذنوب.

وتُعَرَّف الكبيرة بأنها كل معصية فيها حدّ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، والصغيرة ما ليس كذلك.

* * * * *

الورد التاسع

(٨٠) لا يخرجُ المرءُ من الإيمانِ	بموبقاتِ الذَّنْبِ والعصيانِ
(٨١) وواجبٌ عليه أن يتوبا	من كلِّ ما جَرَّ عليه حُوبا
(٨٢) ويقبلُ المولىٰ بمحض الفضلِ	من غيرِ عبدٍ كافرٍ منفصل
(٨٣) ما لم يتبْ من كفرِهِ بضدِّه	فيرتجع عن شركِهِ وصَدِّه
(٨٤) ومن يمُتْ لم يَتَبْ من الخَطا	فأمرُهُ مفوضٌ لذي العَطا
(٨٥) فإن يشأ يعفُ وإن يشأ انتقم	وإن يشأ أعطىٰ وأجْزَلَ النِّعَم
(٨٦) وقيل في الدروزِ والزنادقة	وسائر الطّوائف المُنافِقَة
(٨٧) وكلُّ داعٍ لابتداعٍ يُقْتَلُ	كمن تكرَّرَ نكثُهُ لا يُقْبَلُ
(٨٨) لأنه لمْ يُبْدِ منْ إيمانهِ	إلا الذي أذاع من لسانهِ
(٨٩) كملحدٍ وساحرٍ وساحِرة	وهم علىٰ نِيّاتِهم في الآخِرَة

○ ○ ○ ○ ○

(٨٠) لا يخرج المرء من الإيمان   بموبقات الذنب والعصيان

(لا يخرج المرء) أي: لا يخرج الإنسان. **(من الإيمان)** أي: من كونه مؤمناً. **(بموبقات الذنب)** أي: المهلكات وسميت الجريمة الكبيرة بالموبقة، لأنها سبب لإهلاك مرتكبها في الدنيا بما يترتب عليها من العقاب في الآخرة من العذاب، قال ابن حجر: والمراد بالموبقة: الكبيرة.

وفي «الصحيحين» مِنْ حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال رسول الله ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقاتِ» قالوا: يا رسول اللهِ وما هُنَّ؟ قال: «الشِّرْكُ بالله والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلّا بالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتيمِ،

والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاتِ»[1].

والمراد من البيت؛ أن الإنسان لا يخرج من الإيمان بملابسته وإتيانه بموبقات الذنوب، التي هي أكبر الكبائر، و«أل» في الذنب للجنس، أو الاستغراق فيشمل كل الذنوب. **(والعصيان)** أي: المعاصي دون الشرك بالله تعالىٰ، والكفر به، فإن ذلك يخرجه من الدين، والعصيان ضد الطاعة، وهو يرادف الذنب، والإثم، والجرم.

(٨١) وواجب عليه أن يتوبا من كل ما جر عليه حوبا

(وواجب عليه) أي: يجب علىٰ المذنب. **(أن يتوبا)** أي: أن يرجع عن الذنب الذي اقترفه، والتوبة في اللغة هي: الرجوع من شيء إلىٰ شيء آخر، والرجوع عن الذنب يكون بأن يقلع عنه، ويندم عليه، ويعزم علىٰ أن لا يعود إليه، ويرضي الآدمي عن ظلامته، إذا كان لأحد عليه مظلمة. **(من كل ما جرّ)** أي: من أي شيء قاده. **(عليه)** أي: علىٰ الذنب. **(حوبا)** أي: إثماً.

وقد اتفق العلماء علىٰ أن التوبة من كل معصية؛ واجبة علىٰ الفور، لا يجوز تأخيرها، سواء كانت صغيرة، أو كبيرة، وأنها من مهمات الإسلام، وقواعد الدين المتأكدة.

(٨٢) ويقبل المولىٰ بمحض الفضل من غير عبد كافر منفصل

(ويقبل المولىٰ) أي: أن الله ﷻ سيقبل التوبة. **(بمحض)** أي: بخالص. **(الفضل)** أي: فضله ﷻ من غير وجوب عليه تعالىٰ، ولا إلزام. **(من غير عبد كافر)** أي: من كل عبد مذنب تاب إلىٰ الله تعالىٰ توبة نصوحاً، ولا بد أن يكون هذا العبد مسلماً غير كافر بالله تعالىٰ، ورسوله ﷺ. **(منفصل)** أي: خارج عن الدين بالرِّدة، أو كان كافراً أصلياً، فهذا لا تقبل توبته من الذنوب.

(٨٣) ما لم يتب من كفره بضده فيرتجع عن شركه وصده

(ما لم يتب) أي: ما لم يرجع. **(من كفره)** بأن يسلم، ويقر لله تعالىٰ بالوحدانية، ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة، ويقر، ويذعن بجميع ما جاء به

(١) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب الوصايا برقم ٢٦١٥.

محمد ﷺ، ويؤمن بالكتاب، وبما جاء به الكتاب. **(بضده)** أي: ويتصف بعد رجوعه عن الكفر بضد الكفر، وهو الإسلام. **(فيرتجع عن شركه)** أي: فيعود عن شركه الذي كان متصفاً به. **(وصده)** أي: ويعود عن إعراضه عن الدين، بأن يذعن، وينقاد لشريعة الله سبحانه، فيكون مسلماً خاضعاً مقبلاً بقلبه، وقالبه، فإن فعل ذلك قبل إسلامه بإجماع المسلمين.

❁ تنبيهات ❁

الأول: أن الكبائر لا يكفرها الله سبحانه بدون أن يتوب مرتكبها منها؛ لأن التوبة فرض لازم علىٰ العباد، ومما يبين أن الكبائر لا تكفر بدون التوبة منها، أو العقوبة عليها حديث عبادة بن الصامت ﷺ كما جاء في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «فمن وفىٰ فأجره علىٰ الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له».

وأما الصغائر فإنها قد تمحىٰ بالأعمال الصالحة مع بقاء ثوابها كما قال ﷺ: «ألا أدلكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، وكثرة الخطىٰ إلىٰ المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة».

الثاني: أن الصغائر أيضاً يجب التوبة عنها، ويجب اجتناب المداومة عليها، وقد روي عن ابن عباس قوله: (لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار).

الثالث: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن التوبة ممكنة من كل ذنب لمن أرادها، ويمكن أن الله يغفر له، وهذا الذي عليه أهل السنة والجمهور).

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وليس في الوجود ذنب لا يغفره الرب بحال، بل ما من ذنب إلا والله يغفره.

الرابع: أن التوبة تصح مع كون التائب يصر علىٰ ارتكاب معاصٍ أخر، ومن تاب توبة عامة كانت مقتضية لغفران الذنوب كلها، وإن لم يستحضر

أعيان الذنوب؛ إلا أن يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه، لقوة إرادته، أو لاعتقاده أنه حسن، فلا يدخل في التوبة.

الخامس: من اغتاب إنساناً أو قذفه، فلا يجب إعلامه بذلك، ولا طلب الاستحلال منه، فعن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً: (من اغتاب رجلاً ثم استغفر له بعد، غفر له غيبته) وذلك لأن في إعلامه إدخال غم عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن تاب من قذف إنسان أو غيبته قبل علمه به؛ لايشترط لتوبته إعلامه، والتحلل منه)، وقال: (بل يدعو له دعاء يكون إحساناً إليه في مقابلة مظلمته فإن تضرر الإنسان بما علمه من شتمه أبلغ من تضرره بما لا يعلم، ثم قد يكون الإعلام سبب العدوان علىٰ الظالم، وأيضاً فيه زوال ما كان بينهما من كمال الألفة والمحبة، والله تعالىٰ أمر بالجماعة ونهىٰ عن الفرقة).

وأما الحقوق المالية فإن المال، وما يجوز أن يعتاض عنه بمثله أو قيمته فلا بد من الرد إن قدر.

(٨٤) ومن يمت ولم يتب من الخطا فأمره مفوض لذي العطا

(ومن يمت) أي: أي امرئ مذنب يدركه الموت، وهو مصرّ علىٰ ذنوبه، ومنهمك في شهواته. **(ولم يتب من الخطأ)** أي: ولم يتوجه إلىٰ الله بالتوبة من ذنوبه التي ارتكبها، والآثام التي اكتسبها، فإننا لم نحكم عليه بالكفر، بل نقول في من مات وهو مصر علىٰ كبائر الذنوب، والخطايا. **(فأمره مفوض)** أي: فأمره الذي يؤول إليه موكول. **(لذي العطا)** أي: لصاحب العطاء الواسع، والكرم، والجود، والنعم.

(٨٥) فإن يشأ يعف وإن يشأ انتقم وإن يشأ أعطىٰ وأجزل النعم

(فإن يشأ يعف) أي: إن شاء الله ﷻ عفىٰ عمن لم يتب قبل وفاته، وكان قد اقترف ذنوباً، والعفو هو التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه. **(وإن يشأ انتقم)** أي: وإن شاء الله ﷻ انتقم من هذا المذنب، فإنه ﷻ إن عامل المذنب بالفضل عفا عنه، وأنعم عليه، وإن عامله بالعدل انتقم منه، وآلمه، والانتقام هو أن يبلغ في العقوبة حدها، وفي الأسماء الحسنىٰ (المنتقم) وهو المبالغ في العقوبة لمن يشاء ﷻ. **(وإن يشأ أعطىٰ)** أي: وإن

شاء الله ﷻ أن يعطي المذنب من فضله، وإحسانه فإنه يعطيه النوال السهل. **(وأجزل النعم)** أي: وأكثر له النعم، والنعم جمع نعمة.

قال ابن القيم: (النعمة نعمتان: نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة، فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد وهي نعمة الإسلام. والنعمة المقيدة هي كنعمة الصحة، والغنىٰ، وعافية الجسد، وبسط الجاه، وكثرة الولد، والزوجة الحسنة، وأمثال ذلك فهذه مشتركة بين البر والفاجر، والمؤمن والكافر).

والحاصل أن مذهب أهل الحق من أهل السنة، والجماعة أن من مات مذنباً، ولو مصراً علىٰ كبائر الذنوب، ولم يتب منها، لم نقطع له بخروج من الدين بل نثبت أنه من المؤمنين، ولم نقطع له بدخول النار بل نفوض أمره إلىٰ الله ﷻ فهو الحليم الغفار، فإن شاء عذبه غير أنه لا يخلده في النار، وإن شاء عفا عنه ابتداء؛ إما بشفاعة مقبولة، أو بدعوة صالح، أو بمصيبة من تشديد عند الموت، أو غيره من مصائب البرزخ، وغير ذلك.

* فصل *

في ذكر من قيل بعدم قبول إسلامه

(٨٦) وقيل في الدروز والزنادقة وسائر الطوائف المنافقة

(وقيل في الدروز) يعني: وقال الفقهاء في حكم طوائف الدروز؛ من الحمزاوية أتباع حمزة المدعو عندهم بهادي المستجيبين، والبرذعي، والدرزي، وغيرهم من الحاكمين القائلين بإلٰهية الحاكم العبيدي، وكان أخصهم بالحاكم، وأعجبهم إليه حمزة المدعو بهادي المستجيبين، وهو حمزة اللباد، وكان أعجمياً من الزوري، فأظهر الدعاء إلىٰ عبادة الحاكم، وزعم أن الإلٰه حلّ فيه، واجتمع إليه جماعة من غلاة الإسماعيلية، وكثر جمعه، وشاع ذلك. **(والزنادقة)** جمع زنديق، وهو فارسيٌّ معرب، قال الإمام الموفق ابن قدامة في كتابه «المغني»: الزنديق هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر، كان يسمىٰ منافقاً، ويسمىٰ اليوم زنديقاً. **(وسائر الطوائف)** أي: وبقية الطوائف، جمع طائفة وهي القطعة، أو الواحد فصاعداً، أو إلىٰ الألف، أو أقلها رجلان، أو رجل. **(المنافقة)** من النفاق، وهو إبطان الكفر، وإظهار الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وعامة ما يوجد النفاق في أهل البدع، فإن الذي ابتدع الرفض كان منافقاً زنديقاً، وكذلك يقال عن الذي ابتدع التجهم، وكذلك رؤوس القرامطة، وأمثالهم، لا ريب أنهم من أعظم المنافقين، وهؤلاء لا يتنازع المسلمون في كفرهم).

(٨٧) وكل داع لابتداع يقتل كمن تكرر نكثه لا يقبل

(وكل داع لابتداع) أي: وكل من يدعو لانتحال مبتدع من بدع الضلال، قال الإمام أحمد: (لا تقبل توبة داعية إلىٰ بدعة مضلة)، ولكن الصحيح كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قد بين الله تعالىٰ أنه يتوب علىٰ أئمة الكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع)، فهذا يعني أن الله قد يتوب علىٰ من تاب منهم، أما كلام الإمام أحمد فمحمول علىٰ أننا لا نقبل توبة الداعي إلىٰ البدعة في الدنيا، ولذلك قال ابن حمدان وبدر الدين البلياني: (ولا تقبل ـ يعني التوبة ـ ظاهراً من داعية إلىٰ بدعته المضلة، ولا من ساحر، وزنديق، وهو المنافق، ولا ممن تكررت ردته). **(يقتل)** أي: ذلك الداعية لبدعته المضلة؛ لعدم قبول توبته ظاهراً كالدرزي، والزنديق، وسائر طوائف المنافقين. **(كمن تكرر نكثه)** أي: كمكلف قد تكرر منه نقضه للإسلام بالردة. **(لا يقبل)** أي: لا يقبل منه الإسلام لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء] والازدياد يقتضي كفراً متجدداً، أو لا بد من تقديم إيمان عليه. قال الشيخ مرعي في كتابه «الغاية»: (أقل التكرار ثلاث) أي ثلاث مرات.

(٨٨) لأنه لم يبد من إيمانه إلا الذي أذاع من لسانه

(لأنه لم يبد) يعني: لأن ذلك المرتد لم يظهر. **(من إيمانه)** أي: من الإيمان الذي يزعم أنه عاد إليه، ودخل به إلىٰ الإسلام. **(إلا الذي أذاع)** أي: إلا الذي أظهر، ونشر قبل توبته، وهو الردة، ورفض الإسلام. **(من لسانه)** أي: علىٰ لسانه من أنه يزعم أنه ليس بكافر، وذلك ليستدفع عن نفسه القتل بإظهار التوبة.

(٨٩) كملحد وساحر وساحرة وهو علىٰ نياتهم في الآخرة

(كملحد) يعني: كما أنه لا يقبل إيمان ملحد، ـ والصحيح أنه لا تقبل

توبته في الدنيا ـ لعظم جرمه، قال صاحب «كنز الأسرار»: (الملاحدة، والزنادقة، هم الذين يسبون الله ﷻ، أو واحداً من أنبيائه، وكذلك من سب النبي ﷺ، أو عابه، أو ألحق به نقصاً في نفسه، أو نسبه، أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو شبهه بشيء علىٰ طريق التشويه، أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه)، قال في كتاب «الفروع»: (من عرض بشيء من ذكر الرب فعليه القتل مسلماً كان، أو كافراً)، قال ابن عقيل: (لا تقبل توبته إن سب النبي ﷺ؛ لأنه حق آدمي لم يُعلم إسقاطه، وأما إن سب الله فتقبل توبته لأنه يقبل التوبة من خالص حقه). **(وساحر وساحرة)** يعني: من يكفر بسحره من ذكر أو أنثىٰ، قال ﷺ: «حدّ الساحر ضربة بالسيف» رواه الترمذي، والدارقطني. وروىٰ الإمام مالك في كتابه «الموطأ» عن محمد بن عبد الرحمٰن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وكانت قد دبرتها، فأمرت بها فقتلت. **(وهم)** يعني: بهم: الزنادقة، والدروز، والمنافقة. **(علىٰ نياتهم في الآخرة)** أي: يبعثون وفق نياتهم في الدار الآخرة، فمن صدق منهم في توبته؛ قبلت باطناً، ونفعه ذلك بلا خلاف، فكل من قلنا أن إسلامه لا يقبل بل حكمه أن يقتل يعني بحسب الظاهر في الدنيا.



الورد العاشر

(٩٠) قلت وإن دلت دلائل الهُدىٰ كما جرىٰ للْعَيْلَبُونِي اهتَدَى
(٩١) فإنه أذاع من أسرارِهِم ما كان فيه الهَتْكُ عن أستارِهِم
(٩٢) وكان للدين القويم ناصراً فصار منا باطناً وظاهرا
(٩٣) فكل زنديقٍ وكلَّ مارقٍ وجاحدٍ وملحدٍ منافقِ
(٩٤) إذا استبانَ نصحهُ للدينِ فإنه يُقْبَلُ عن يقينِ
(٩٥) إيمانُنا قولٌ وقصدٌ وعَمَل تزيدُه التقوىٰ ويَنْقُصُ بالزَّلَل
(٩٦) ونحن في إيمانِنا نستثني من غير شكٍّ فاستمع واستَبْنِ
(٩٧) نُتابع الأخيارَ من أهل الأثر ونقتفي الآثار لا أهلَ الأشَر
(٩٨) ولا تَقُل إيمانُنا مخلُوق ولا قديمٌ هكذا مطلوق
(٩٩) فإنه يشمل للصلاةِ ونحوها من سائر الطّاعاتِ
(١٠٠) ففعلنا نحو الركوع محدثُ وكلُّ قرآن قديم فابحثُوا

○ ○ ○ ○ ○

(٩٠) قلت وإن دلت دلائل الهدىٰ كما جرىٰ للعيلبوني اهتدىٰ

(قلت وإن دلت) أي: دلت من الشخص التائب، والمسلم الآيب. **(دلائل الهدىٰ)** أي: قرائن الأحوال. **(كما جرىٰ)** أي: كما حصل. **(للعيلبوني)** هو الرجل الصالح، الفاضل، حسن العيلبوني، نسبة إلىٰ بلدة عيلبون، وهي بلدة ما بين قرية حطين، ودير حنا، كانت لطائفة من الدروز، وكان حسن العيلبوني درزياً من جملتهم، فتاب، ورجع عن كفره، وزندقته، وحسن حاله، وصلحت أعماله. **(اهتدىٰ)** يعني: فمن ظهرت منه قرائن الأحوال، واتباع الهدىٰ، ورفض الضلال، والإضلال، والردىٰ؛ فقد أنقذه الله من الضلال، والهلاك.

(٩١) فــإنــه أذاع مــن أســرارهــم ما كان فيه الهتك عن أستارهم

(فإنه) يعني: العيلبوني. **(أذاع)** أي: نشر، وأظهر. **(من أسرارهم)** يعني: من أسرار طائفة الدروز، وما هم عليه من الكفر، وانتحالهم ما لا يجوز عند أحد من سائر أهل الملل في الوقوع علىٰ المحارم من البنات، والأخوات، وأكلهم الخنزير، ورفضهم العبادات. **(ما كان فيه)** أي: ما كان في ذلك الذي أذاعه. **(الهتك)** أي: من الهتك، والهتك هو الكشف، والظهور والإبانة. **(عن أستارهم)** أي: التي كانوا يكتمونها، ويستترون بإظهارهم الإسلام تقيّة مع عكوفهم علىٰ الكفر الصراح، واعتقادهم أن كل ما حرّمته الشريعة؛ فهو مباح، فيجعلون الصلاة معرفة أسرارهم، ويريدون بالصوم كتمان أسرارهم، والحج عندهم هو قصدهم علماؤهم.

(٩٢) وكـان لـلـديـن الـقـويـم نـاصـرا فــصــار مــنــا بــاطــنــاً وظــاهــرا

(وكان) يعني العيلبوني، ومن نحا نحوه. **(للدين القويم)** أي: الدين المستقيم. **(ناصراً)** أي: منتصراً للدين باتباعه، والعكوف عليه، وذم من خالفه، وكشف فضائحهم. **(فصار منا)** أي: فإنه أصبح منا نحن معاشر المسلمين أهل السنة والجماعة. **(باطناً)** أي: في الباطن. **(وظاهراً)** أي: وفي الظاهر، فهو مسلم مقبول الإسلام في الظاهر وفي الباطن، وكان حسن العيلبوني، طيب العشرة، حسن المطارحة، ارتحل إلىٰ مصر، وأخذ عن الشمس البابلي، والشيخ سلطان، والنور الشبراملسي، وله شعر كثير منه القصيدة النونية التي هجا بها الدروز، تبلغ ثلاثمائة بيت، انظر «خلاصة الأثر في أعيان المائة الحادية عشر».

(٩٣) فــكــل زنــديــق وكــل مــارق وجــاحــد ومــلــحــد ومــنــافــق

(فكل زنديق) أي: كل منافق لا يتدين بدينه. **(وكل مارق)** أي: كل خارج عن طريق الاستقامة؛ من أهل البدع، والضلالات. **(وجاحد)** أي: وكل جاحد، منكر للدين مثل: الدرزي، والدهري، والبرهمي، ومعطل، وعابد وثن، وشمس ونار، وغيرها. **(وملحد)** أي: وكل ملحد في آيات الله، ومنكر لشرائع الله، وكافر برسول الله. **(منافق)** أي: ذي نفاق يبطن الكفر، ويظهر الإسلام.

(٩٤) إذا استبان نصحه للدين فإنه يقبل عن يقين

(إذا استبان) أي: إذا امتحن حاله، فظهر صحة إيمانه. **(نصحه للدين)** أي: صدقه للدين، والدفاع عنه، والعمل علىٰ شريعته. **(فإنه)** يعني: هذا التائب عن تلك الترهات. **(يقبل)** أي: يقبل منه ذلك الرجوع، وتقبل توبته. **(عن يقين)** اليقين هو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع، أي: بصدق لا شك فيه، قال: قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة: ١٦٠].

* فصل *

في الكلام على الإيمان واختلاف الناس فيه

(٩٥) إيماننا قول وقصد وعمل تزيده التقوىٰ وينقص بالزلل

(إيماننا) يعني: أهل السلف الأثريين. **(قول)** أي: قول باللسان، فمن لم يقر، ويصدق بلسانه؛ لا يسمىٰ مصدقاً، فليس هو بمؤمن. **(وقصد)** أي: باعتقاد، فمن تكلم بكلمة التوحيد، غير معتقد لها بقلبه؛ فهو منافق، وليس بمؤمن، وكذلك إذا كان مصدقاً بقلبه، غير ناطق بلسانه، فليس بمؤمن، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة]. فنفىٰ الله الإيمان عن المنافقين. و(عمل) أي: وعمل بالأركان، قال ابن حجر العسقلاني: (فالسلف قالوا هو ـ يعني الإيمان ـ: اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله)، قال: وهذا بالنظر إلىٰ ما عند الله تعالىٰ، أما بالنظر إلىٰ ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فقط، فمن أقر أجريت عليه الأحكام في الدنيا، ولم يحكم عليه بكفر، إلا إن اقترن بإقراره فعل يدل علىٰ كفره، كالسجود للصنم. **(تزيده)** يعني: الإيمان عند السلف. **(التقوىٰ)** التقوىٰ هي في اللغة: الحاجز بين الشيئين، واصطلاحاً التحرز بطاعة الله عن مخالفته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه أي أن الإيمان يزيد بالتقوىٰ. **(وينقص بالزلل)** أي: الإيمان ينقص بالخطيئة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال] وقال تعالىٰ: ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]. وعن عمير بن حبيب الخطمي ﷺ ـ وهو صحابي ـ قال: (الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله ﷻ، ووحَّدناه وسبَّحناه، فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسيناها فذاك نقصانه).

(٩٦) ونحن في إيماننا نستثني   من غير شك فاستمع واستبن

(ونحن) يعني: السلفيين، ومن وافقهم من الأشعرية، وغيرهم. **(في إيماننا نستثني)** أي: يقول أحدنا: أنا مؤمن إن شاء الله. **(من غير شك)** أي: دون أن نشك في إيماننا. **(فاستمع واستبن)** أي: اطلب سماع ذلك، وبيانه بأدلته النقلية، والعقلية.

قال شيخ الإسلام: (ومذهب أصحاب الحديث كابن مسعود، وأصحابه، والثوري، وابن عيينة، وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء البصرة، والإمام أحمد بن حنبل، وغيره من أئمة السنة؛ كانوا يستثنون في الإيمان)، وقال: (بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء؛ إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل جميع الواجبات، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك كما لا يشهدون لها بالبر، والتقوىٰ، فإن ذلك مما لا يعلمونه، وهو تزكية لأنفسهم بلا علم؛ ويجوز ترك الاستثناء؛ إن قصد أن الإيمان هو التصديق، والقول فقط دون العمل).

(٩٧) نتابع الأخيار من أهل الأثر   ونقتفي الآثار لا أهل الأشر

(نتابع) أي: أننا نتبع في اعتقادنا الجازم. **(الأخيار من)** أي: السلف الخيرين من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وبقية الأئمة. **(أهل الأثر)** أي: الذين هم أصحاب الأثر، والحديث، علىٰ نهج محمد ﷺ. **(ونقتفي)** أي: نتبع، يقُال قفوته قفواً أي: اتبعته. **(الآثار)** أي: النصوص المأثورة عن القرآن، والرسول ﷺ، والصحابة، والتابعين، وأئمة الدين: بالنقل الصحيح فهم أحق الناس بالهداية. **(لا أهل الأشر)** يعني: ولا نتابع أصحاب التحذلق والتشدق من فروخ الجهمية.

(٩٨) ولا تقل إيماننا مخلوق   ولا قديم هكذا مطلوق

(ولا تقل) يعني: لا تقل أيها الأثري. **(إيماننا مخلوق)**: أن إيماننا مخلوق من مخلوقات الله ﷻ. **(ولا قديم هكذا مطلوق)** أي: ولا تقل أيضاً أن إيماننا قديم ليس بمخلوق، فلا تطلق الكلام، فإن الإيمان يشتمل علىٰ أجزاء مخلوقة، وأخرىٰ غير مخلوقة فالحذر من الإطلاق بل لا بُدَّ لك من التفصيل في ذلك.

(٩٩) فإنه يشمل للصلاة ونحوها من سائر الطاعات

(فإنه) يعني: الإيمان. **(يشمل للصلاة)** أي: يشتمل علىٰ الصلاة. **(ونحوها)** أي: ويشتمل نحو الصلاة. **(من سائر)** أي: بقية. **(الطاعات)** أي: الطاعات التي يتقرب العبد بها إلىٰ ربه ﷻ، من سائر العبادات، والطاعات: جمع طاعة، وهي لغة الانقياد. واصطلاحاً: كل عبادة غير واجبة، والمراد هنا كل عبادة، والعبادة هي ما أمر به شرعاً.

(١٠٠) ففعلنا نحو الركوع محدث وكل قرآن قديم فابحثوا

(ففعلنا) أي: فعلنا نحن المخلوقين. **(نحو الركوع)** أي: مثل الركوع، والسجود، في الصلاة من القيام، والقعود، وسائر الأفعال. **(محدث)** مخلوق؛ لأنه مسند إلىٰ المخلوق، ومنسوب إليه، والله خالق الأفعال للعباد. **(وكل قرآن)** أي: وكل ما كان من القرآن. **(قديم)** أي: فهو قديم غير مخلوق، لأن كلام الله قديم. **(فابحثوا)** أي: فاطلبوا وثائق المعاني، فكل من أدخل الأعمال في الإيمان؛ فلا يسوغ له إطلاق اسم الحدوث، ولا القدم علىٰ الإيمان، بل لا بد من هذا التفصيل.

* * * * *

الورد الحادي عشر

(١٠١) وَوَكَّلَ اللّـه من الكرام	اثنين حافظين للأنام
(١٠٢) فيكتبان كُلَّ أفعال الورىٰ	كما أتىٰ في النَّصِّ من غير امْتِرا
(١٠٣) وكل ما صح من الأخبار	أو جاء في التنزيل والآثار
(١٠٤) من فتنة البرزخ والقبور	وما أتىٰ في ذا من الأمور
(١٠٥) وأن أرواح الورىٰ لم تعدم	مع كونها مخلوقة فاستفهم
(١٠٦) فكل ما عن سيد الخلق ورد	من أمر هذا الباب حق لا يُرَد
(١٠٧) وما أتىٰ في النص من أشراط	فكلُّه حقٌّ بلا شِطاطِ
(١٠٨) منها الإمامُ الخاتمُ الفصيحُ	محمدٌ المهديُ والمسيحُ
(١٠٩) وأنه يقتل لِلدجّالِ	بباب لُدٍّ خَلِّ عن جدالِ
(١٠٠) وأمر يأجوجَ ومأجوجَ أثبتِ	فإنَّه حقٌّ كهدمِ الكعبةِ

○ ○ ○ ○ ○

(١٠١) وَوَكَّل اللَّه من الكرام اثنين حافظين للأنام

(ووكل الله) أي: جعل الله ﷻ توكيله. **(من الكرام)** يعني: الملائكة الكرام، وقد وصفهم بالكرم؛ لأنهم كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ⦗٦⦘﴾ [التحريم]، وهم خلق لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينكحُون، ويسبحون الليل، والنهار لا يفترون. **(اثنين حافظين للأنام)** أي: ملكين يحفظان الإنس.

(١٠٢) فيكتبان كل أفعال الورىٰ كما أتىٰ في النص من غير امترا

(فيكتبان) يعني: الملكين الحافظين. **(كل أفعال الورىٰ)** أي: كل ما يفعله المخلوقون من الإنس. **(كما أتىٰ في النص)** يعني: كما جاء في القرآن،

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [قٓ]. **(من غير امترا)** أي: من غير شك.

روىٰ البغوي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «كاتب الحسنات علىٰ يمين الرجل، وكاتب السيئات علىٰ يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير علىٰ كاتب السيئات، فإذا عمل الرجل حسنة كتبها صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة، قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات؛ لعله يسبح، أو يستغفر» أو كما قال ﷺ.

* * * * *

الباب الرابع

في ذكر بعض السمعيات من ذكر البرزخ والقبور وأشراط الساعة والحشر والنشور

(١٠٣) وكل ما صح من الأخبار أو جاء في التنزيل والآثار

(وكل ما صح) أي: كل ما ثبت أنه صحيح غير ضعيف. **(من الأخبار)** أي: من الأخبار النبوية. **(أو جاء في التنزيل)** أي: أو جاء في القرآن الكريم المنزل علىٰ النبي ﷺ. وقد قدم الأخبار عن النبي ﷺ علىٰ ما جاء في القرآن الكريم؛ لمزيد الاهتمام به، ولئلا يظن ظان أن ما لم يثبت في القرآن فليس عليه تعويل. و**(الآثار)** يعني: وكل ما صح في الآثار عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

(١٠٤) من فتنة البرزخ والقبور وما أتىٰ في ذا من الأمور

(من فتنة) الفتنة هي: الامتحان، والاختبار. **(البرزخ)** البرزخ في اللغة: هو الحاجز بين الشيئين، ومن وقت الموت إلىٰ القيامة من مات دخله، قال تعالىٰ: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمٰن] أي: حاجز يمنعهما من أن يختلط أحدهما بالآخر، ووجه كون البرزخ الذي يدخله الميت يسمىٰ برزخاً؛ لكونه يحجز بين الدنيا، والآخرة. **(والقبور)** وفتنة القبور، والقبور جمع قبر، والبرزخ أحواله تشمل القبر أيضاً، فعطف القبور علىٰ البرزخ من عطف الخاص علىٰ العام. **(وما أتىٰ)** أي: وما جاء من الهول عن الصادق المصدوق محمد ﷺ. **(من الأمور)** يعني: من الأمور المهولة العجيبة، والأشياء الصعبة الغريبة؛ فإنه حق لا يرد.

فمن هذه الأمور سؤال منكر، ونكير، وهما ملكان، الإيمان بهما واجب؛ لما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبدَ إذا وُضِعَ في قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ، وَذَهَبَ أَصْحابُهُ،

حَتّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِمْ أتاهُ مَلَكانِ، فَأَقْعَداهُ، فيقولانِ لَهُ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ: مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فأما المؤمن فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ، فَيُقالُ: انْظُرْ إِلىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النّارِ، أَبْدَلَكَ اللَّهُ به مَقْعَداً مِنَ الْجَنَّةِ، قال النَّبِيُّ ﷺ: فَيَراهُما جَمِيعاً»، قال قَتادة: وذكر لنا أنه يفسح في قبره، «وأَمّا ٱلْكافِرُ، أَوِ الْمُنافِقُ فَيُقالُ له: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ ما يَقُولُ النّاسُ، فَيُقالُ: لا دَرَيْتَ، وَلا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُها مَنْ يَلِيهِ إِلّا الثَّقَلَيْنِ»(١).

ومن هذه الأمور أيضاً؛ عذاب القبر، ففي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إنَّ أهل القبور يُعَذَّبُونَ في قبورهم عذاباً تَسْمَعُهُ ٱلْبَهائِمُ»(٢)، وأخرج مسلم، وابن أبي شيبة عَنْ زَيْدِ بْنِ ثابِتٍ رضي الله عنه قال: بَيْنَما النَّبِيُّ ﷺ في حائِطٍ لِبَنِي النَّجّارِ علىٰ بَغْلَةٍ لَهُ، وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حادَتْ به فَكادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذا أَقْبُر سِتَّةٌ، أَوْ خَمْسَةٌ، أَوْ أَرْبَعَةٌ، فقال: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحابَ هٰذِهِ الأَقْبُرِ؟» فقال رَجُلٌ: أنا فقال: «مَتىٰ ماتَ هَؤُلاءِ؟» فقال: ماتُوا في الْإِشْراكِ: فقال النبي ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلىٰ في قُبُورِها، فَلَوْلا أَنْ تَدافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذابِ ٱلْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «تعوَّذوا بالله من عذاب القبر»(٣).

ومن هذه الأمور أيضاً ضغطة القبر لكل واحد، قال أبو القاسم السعدي: (المراد بضغطة القبر؛ التقاء جانبيه علىٰ جسد الميت)، أخرج الإمام أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «إن للقبر ضغطةً، لو كان أحد منها ناجياً؛ نجا منها سعد بن معاذ رضي الله عنه»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الجنائز برقم ١٢٧٣.

(٢) أخرجه البخاري بمعناه في «صحيحه» في كتاب الدعوات برقم ٦٠٠٥.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم ٥١١٢، وكذلك أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» بمعناه برقم ٢٣٠٤٨.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ٦/ ٥٥ رقم ٢٤٢٧٥.

❊ فصل ❊

في ذكر الروح والكلام عليها

(١٠٥) وأن أرواح الورىٰ لم تعدم مع كونها مخلوقة فاستفهم

(وأن أرواح الورىٰ) يعني: ومما ينبغي العلم به هو أن أرواح بني آدم. **(لم تعدم)** أي: لا تفنىٰ بموت الأبدان التي كانت فيها. **(مع كونها مخلوقة)** أي: مع كون الأرواح مخلوقة لله تعالىٰ، أوجدها بعد أن لم تكن موجودة. **(فاستفهم)** أي: اطلب علم ذلك من مظانه.

وقد أخطأ من جعل الروح قديمة، وليست مخلوقة مستشهداً بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، والجواب أن كون عيسىٰ روح الله لا يعني أنه قديم غير مخلوق؛ فإن ما يضاف إلىٰ الله ﷻ نوعان: صفات لا تقوم بأنفسها؛ كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، والوجه، واليد، وغيرها؛ فهذه إضافة صفة إلىٰ موصوف، والثاني: إضافة أعيان منفصلة، كبيت الله، وناقة الله، وعبد الله، ورسول الله، وكذلك روح الله، فهذه إضافة مخلوق إلىٰ خالقه، ومصنوع إلىٰ صانعه، لكنها تقتضي تخصيصاً، أو تشريفاً يتميز به المضاف إليه عن غيره، كبيت الله، وإن كانت كل البيوت لله ملكاً له، وكذلك ناقة الله، والنوق كلها ملكه.

(١٠٦) فكل ما عن سيد الخلق ورد من أمر هذا الباب حق لا يرد

(فكل ما) أي: **فكل** شيء. **(عن سيد الخلق)** يعني: محمد ﷺ، والسيد هو الذي يفوق في الخير قومه، فهو ﷺ أجل خلق الله وأعظمهم، وأكرمهم، وأكملهم. **(ورد)** يعني جاء عنه ﷺ صحيحاً. **(من أمر)** أي: من أمور. **(هذا الباب)** أي: هذا الموضوع، والباب هو الذي يدخل منه، ويخرج، والمقصود هنا: الأمور التي مناطها السمع من الكتاب، والسنة، والتي لا يمكن إثباتها إلا بالكتاب، والسنة، فهي أمور غيبية ليس للعقل الخوض فيها. **(حق)** أي: يجب اعتقادها، والإيمان بها. **(لا يرد)** أي: لا ينكر شيء منها لثبوته عن المعصوم، وصحته.

○ فائدة:

قال ابن القيم في كتابه «بدائع الفوائد»: (اختلف الناس في جواز إطلاق

السيد علىٰ البشر، فمنعه قوم، ونقل عن الإمام مالك، واحتجوا بأنه ﷺ، لما قيل له: يا سيدنا قال: «إنما السيد هو الله»، وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «قوموا إلىٰ سيدكم»، وهذا أصح من الحديث الأول) يعني: أنه يجوز إطلاق السيد عليه[1]، وقد صح عنه ﷺ قوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» بل إنه ﷺ قال في ابنه الحسن: «إن ابني هذا سيد» فإطلاق السيد عليه جائز من باب أولىٰ.

* فصل *

في أشراط الساعة وعلاماتها

(١٠٧) وما أتىٰ في النص من أشراط فكله حق بلا شطاط

(وما أتىٰ) أي: وما ورد عن سيد الخلق. **(في النص)** أي: النص القرآني، أو الحديث النبوي. **(من أشراط)** أي: من علامات الساعة، والمراد بالساعة يوم القيامة، وسميت الساعة لقربها، أو لأنها تأتي بغتة، والأشراط جمع شرط. **(فكله)** أي: فجميعه. **(حق)** أي: أنه يقيناً واقع لا محالة. **(بلا شطاط)** أي: من غير طول وبعد.

(١٠٨) منها الإمام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح

(منها) أي: من أشراط الساعة التي وردت بها الأخبار وتواترت. **(الإمام)** أي: المقتدىٰ بأقواله وأفعاله. **(الخاتم)** أي: الخاتم للأئمة. **(الفصيح)** أي: الفصيح اللغة والفصاحة ملكة يقتدر معها علىٰ التعبير. **(محمد المهدي)**: وهو المعروف بالمهدي المنتظر، قال النبي ﷺ عنه: «يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي»، رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأما زعم الشيعة أن اسمه محمد بن الحسن، وأنه محمد بن الحسن العسكري، فهذيان؛ فإن محمد بن الحسن هذا مات، وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن.

وأما تسمية المهدي بالمهدي؛ لأنه كما قال كعب الأحبار: (يهدي إلىٰ أمر خفي، وسيخرج التوراة، والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية)، وأما لقبه؛ فالجابر؛ لأنه يجبر قلوب أمة محمد ﷺ، ولأنه يقهر الجبارين، والظالمين،

---

(١) هذه الجملة ليست للمؤلف، وقد أثبتها لاقتضاء المقام.

وكنيته أبو عبد الله، يخرج قبل نزول عيسىٰ عليه السلام. **(والمسيح)** أي: ومن علامات الساعة نزول عيسىٰ ابن مريم، فهذا ثابت بالكتاب، والسنّة، والإجماع، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٨] أي: ليؤمنن بعيسىٰ قبل موت عيسىٰ، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ لَيُوشِكن أنْ يَنْزِلَ فيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ»(١) وقد انعقد إجماع الأمة علىٰ أنه ينزل، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، ولا ينزل بشريعة مستقلة، وإن كانت النبوة قائمة به، وهو متصف بها، ويتسلم الأمر من المهدي، ويكون المهدي من أصحابه، وأتباعه، ويصلي وراء المهدي صلاة الفجر، ولا يقدح ذلك في نبوته.

(١٠٩) وإنه يقتل للدجال ... بباب لدٍّ خلِّ عن جدال

(وإنه) يعني: المسيح عليه السلام. (يقتل): ويكون ذلك بأمر الله، وتأييده. **(للدجال)**: سمي هذا الشخص دجالاً في جميع الشرائع؛ لأنه يقطع الأرض، ويسير في أكثر نواحيها. وسمي الدجال مسيحاً فيقال: المسيح الدجال؛ لأن إحدىٰ عينيه ممسوحة لا يبصر بها وأما تسمية سيدنا عيسىٰ ابن مريم مسيحاً فقيل لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ. **(بباب لدٍّ)** يعني: يقتل عيسىٰ عليه السلام الدجال، وهو متعلق بباب لدّ، ولُدّ بلد مشهور في فلسطين. **(خلّ)** أي: اترك. **(عن جدال)**: عن المجادلة في أمر الدجال، وما يظهر علىٰ يديه من خوارق للعادات، وأمره مع عيسىٰ عليه السلام.

○ أوصاف الدجال:

رویٰ أبو داود في «سننه» أن النبي ﷺ قال: «إنَّ المَسِيحَ الدَّجّالِ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ أَعْوَرُ، مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، جُفال الشعر، هَجان، أبيض، أقمر،

---

(١) أخرجه البخاري بلفظه في كتاب البيوع برقم ٧٢٥٤ وهذا طرف الحديث، وأيضاً الإمام أحمد في «مسنده» بحديث طويل مع ألفاظ متغايرة برقم ٧٣٥٤.

ضخم فَيْلماني»[1]، أفحج معناه: متباعد ما بين الساقين، والجعد هو: التِواءُ الشعر، وجفال الشعر: كثير الشعر، وهجان: أي شديد البياض، والفيلماني هو: عظيم الجثة.

وفي رواية: «مكتوب بين عينيه (ك ف ر)، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ولا يقرؤها الكافر، لا يولد له، ولا يدخل المدينة، ولا مكة، تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة، وسبعون ألفاً من يهود أصفهان عليهم التيجان، وكلهم ذو سيف محلي». وأخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان الكلابي ﷺ، قال: ذكر رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجّالَ ذاتَ غَداةٍ فَخَفَّضَ فيهِ وَرَفَّعَ حَتّىٰ ظَنَنّاهُ في طائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمّا رُحْنا إلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فينا، فقال: «ما شَأْنُكُمْ؟» قُلْنا: يا رَسُولَ اللَّهِ! ذَكَرْتَ الدَّجّالَ غَداةً فَخَفَّضْتَ فيهِ وَرَفَّعْتَ حَتّىٰ ظَنَنَّاه في طائِفَةِ النَّخْلِ فَقالَ: «غَيْرُ الدَّجّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إنْ يَخْرُجْ، وَأنا فيكُمْ فَأنا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فيكُمْ فكل امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، واللَّهُ خَلِيفَتِي علىٰ كُلِّ مُسْلِم، إنَّهُ شابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طافِيَةٌ كَأنّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزّىٰ بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَواتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إنَّهُ خارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشّامِ والْعِراقِ، فَعاثَ يَميناً، وَعاثَ شِمالاً، يا عِبادَ اللَّهِ فاثْبُتُوا»، قُلْنا: يا رَسُولَ اللَّهِ فَما لَبْثُهُ في الأرْضِ؟ قال: «أَرْبَعُونَ يَوْماً؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسائِرُ أيّامِهِ كَأيّامِكُمْ»، قُلْنا: يا رَسُولَ اللَّهِ! فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتُكْفينا فيهِ صَلاةُ يَوْمٍ؟ قالَ: «لا، اقْدُرُوا لَهُ قدْرَهُ»، قُلْنا: يا رَسُولَ اللَّهِ! وَما إسْراعُهُ في الأرْضِ؟ قالَ: «كالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلىٰ الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّماءَ فَتُمْطِرُ، والأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ ما كانَتْ ذُراً، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً، وَأَمَدَّهُ خَواصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَها: أَخْرِجِي

(١) أخرجه أبو داود بمعناه في «سننه» في كتاب الملاحم برقم ٣٧٦٣.

كُنُوزَكِ فَتَتْبِعُهُ كُنوزُها كَيَعاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَباباً فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنارَةِ الْبَيْضاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ واضِعاً كَفَّيْهِ عَلىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إذا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإذا رَفَعَ رَأْسه تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمانٌ كاللُّؤْلُؤِ فَلا يَحِلُّ لِكافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلّا ماتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُه»[1].

(١١٠) وأمر يأجوج ومأجوج أثبت فإنه حق كهدم الكعبة

(وأمر) أي: وشأن. **(يأجوج ومأجوج)**: خلق كثير جداً، فقد روىٰ الطبراني من حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يأجوج أمة لها أربعمائة أمير، وكذلك مأجوج، ولا يموت أحدهم حتىٰ ينظر إلىٰ ألف فارس من ولده»، وقال عنهم علي رضي الله عنه: (منهم في طوله شبر، ومنهم من هو مفرط في الطول، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأنياب، وأضراس كأضراس السباع، ولهم شعر في أجسادهم). **(أثبت)** أي: اعتقد ثبوته، لقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء].

روىٰ مسلم في «صحيحه» من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ اللَّهَ تَعالى يُوْحِي إلىٰ عِيسىٰ بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال أَنِّي قَدْ أَخرَجْتُ عِباداً لِي لا يَدانِ لأَحَدٍ بِقِتالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبادِي إلىٰ الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَّلُهُمْ عَلىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ ماءها فيها وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كان بِهَذِهِ ماءٌ وَيُحْصَرُونَ عِيسىٰ وَأَصْحابُهُ حَتّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْراً مِنْ مائَةِ دِينارٍ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الفتن وأشراط الساعة بمعناه وهو طويل برقم ٥٢٢٨.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» بمعناه وهو طرف الحديث، في كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم ٥٢٢٨.

(**فإنه حق**) أي: فأمر يأجوج ومأجوج حق ثابت. وأخرج الطبراني والبيهقي وعبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما (أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم وراءهم ثلاث أمم: تأويل وتأريس ومنسك)، وفي حديث حذيفة رضي الله عنه: (لا يمرون بغيل ولا وحش ولا طير ولا جمل ولا خنزير إلّا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه). (**كهدم الكعبة**): هذه العلامة هي الخاصة من علامات الساعة الكبرىٰ، فقد روىٰ البخاري، ومسلم، والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ»[1]. وفي «الصحيحين»: «كَأَنِّي به أَسْوَدَ أَفْحَجَ يهدمها حَجَراً حَجَراً»[2]. وقد روىٰ الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يُبايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ، والْمَقام وَلَنْ يَسْتَحِلَّ هذا الْبَيْتَ إلّا أَهْلُهُ، فَإذا اسْتَحَلُّوهُ فَلا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَجِيءُ الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَراباً لا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبداً، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»[3].

* * * * *

(١) وجدتُ النص في «سنن النسائي» بلفظه في كتاب مناسك الحج ٢٨٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» بلفظ مترادف بدلاً من يهدمها (يقلعها).

(٣) أخرجه الإمام أحمد بلفظه أكثر من مكان برقم ٧٧٦٦ و٨٠٠١ و٨٢٦٥.

الورد الثاني عشر

(١١١) وإن منها آيةُ الدُّخانِ — وإنه يُذْهَبُ بالقرآنِ
(١١٢) طلوعُ شمسِ الأفق من دَبُورِ — كذاتِ أجيادٍ علىٰ المشهورِ
(١١٣) وآخر الآياتِ حشرُ النارِ — كما أتىٰ في محكم الأخبارِ
(١١٤) فكلها صحت بها الأخبار — وسطرت آثارها الأخيار
(١١٥) واجزمْ بأمرِ البعثِ والنشورِ — والحشر جزماً بعد نفخ الصورِ
(١١٦) كذا وقوف الخلق للحسابِ — والصحف والميزان للثوابِ
(١١٧) كذا الصراط ثم حوض المصطفىٰ — فيا هَنا لمن به نال الشِّفا
(١١٨) عنه يُذادَ المفتري كما ورد — ومن نحا سبل السلامة لم يُرَد
(١١٩) فكن مطيعاً واقف أهل الطاعة — في الحوض والكوثَرِ والشفاعة
(١٢٠) فإنها ثابتةٌ للمصطفىٰ — كغيره من كلِّ أسبابِ الوَفا
(١٢١) من عالم كالرسل والأبرار — سوىٰ التي خُصَّتْ بذي الأنوارِ

○ ○ ○ ○ ○

(١١١) وإن منها آية الدخان — وإنه يُذْهَبُ بالقرآن

(وإن منها) أي: من أشراط الساعة التي ورد النص بها، وأنها حق يجب الإيمان بها. **(آية الدخان)** أي: علامة الدخان، قال ﷻ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [الدخان] وروىٰ مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاريّ ؓ قال: (اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنا وَنَحْنُ نَتَذاكَرُ فقال: «ما تَذاكَرُونَ» قالُوا: نَذْكُرُ السّاعَةَ قالَ: «إنَّها لَنْ تَقُومَ حَتّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَها عَشْرَ آياتٍ» فَذَكَرَ الدُّخانَ، والدَّجّالَ، والدّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وَنُزُولَ عِيسىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ؑ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بالْمَشْرِقِ وخَسْفٌ

بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النّاسَ إلىٰ مَحْشَرِهِمْ)[1]. (وإنه) أي: الشأن، والأمر، (يذهب) مبني للمجهول، أي: ويذهب الله ﷻ. (بالقرآن) أي: بالقرآن الكريم: من المصاحف، والصدور، وهي من أشد معضلات الأمور، وهذا معنىٰ كلام السلف: إن القرآن العظيم كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود. أخرج ابن ماجه بسند قوي، والحاكم، والبيهقي، والضياء، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمانِ ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْرُسُ الإسْلامُ كَما يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتّىٰ لا يُدْرىٰ ما صِيامٌ وَلا صَلاةٌ وَلانُسُكٌ وَلا صَدَقَةٌ. وَلَيُسْرىٰ عَلىٰ كِتابِ اللهِ ﷻ في لَيْلَةٍ، فَلا يَبْقىٰ في الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ. وَتَبْقىٰ طَوائِفُ مِنَ النّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ والْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنا آباءَنا عَلىٰ هَذِهِ الْكَلِمَةِ لا إلٰه إلّا اللهُ فَنَحْنُ نَقُولُها» فقال لَهُ صِلَةُ: ما تُغْنِي عَنْهُمْ لا إلٰه إلا اللهُ، وَهُمْ لا يَدْرُونَ ما صَلاةٌ وَلا صِيامٌ وَلا نُسُكٌ وَلا صَدَقَةٌ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ﷺ، ثُمَّ رَدَّها عَلَيْهِ ثَلاثاً، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ﷺ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ في الثّالِثَةِ فَقالَ: (يا صِلَةُ تُنْجِيهِمْ مِنَ النّارِ ثَلاثاً)[2].

(١١٢) طلوع شمس الأفق من دبور ... كذات أجياد علىٰ المشهور

(طلوع شمس الأفق) أي: ومن علامات الساعة أن تطلع الشمس. (من دبور) أي: من جهة المغرب؛ لأنها تدابر باب الكعبة، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. **(كذات)** أي: كصاحبة. **(أجياد)** اسم أرض بمكة، أو جبل بها. **(علىٰ المشهور)** يعني: علىٰ القول المشهور، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل]، وفي حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «تخرج دابة الأرض من أجياد، فيبلغ صدرها الركن اليماني، ولم يخرج

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» بلفظه في كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم ٥١٦٢.
(٢) أخرجه ابن ماجه بلفظه في «سننه» في كتاب الفتن برقم ٤٠٣٩.

ذنبها بعد، وهي دابة ذات قوائم». قال الحاكم أبو عبد الله: (الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة في ذلك اليوم، أو الذي يقرب منه، والحكمة في ذلك أنه عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود في إغلاق باب التوبة). والذي يظهر والله أعلم؛ أن أول الآيات خروج المهدي، ثم الدجال، ثم نزول عيسىٰ عليه السلام، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم هدم الكعبة، ثم الدخان، ثم ارتفاع القرآن ثم طلوع الشمس من مغربها ثم خروج الدابة.

(١١٣) وآخر الآيات حشر النار كما أتىٰ في محكم الأخبار

(وآخر الآيات) يعني: وآخر تلك العلامات من علامات الساعة العظام. **(حشر النار)** إذ تحشر هذه النار الناس، وتدفعهم من المشرق إلىٰ المغرب، ومن اليمن إلىٰ الشام. **(كما أتىٰ)** أي: كما ورد ذلك.

(في محكم الأخبار) أي: صحيح الحديث النبوي. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ أَبِيهِ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ تَحْشُرُ النّاسَ» قالوا: يا رَسُولَ اللهِ فَما تَأْمُرُنا؟ قال: «عَلَيْكُمْ بالشّامِ»[١].

(١١٤) فكلها صحت بها الأخبار وسطرت آثارها الأخيار

(فكلها) أي: جميع أشراط الساعة المذكورة. **(صحت بها الأخبار)** أي: جاءت الأحاديث الصحيحة فيها عن النبي ﷺ، وأصحابه الأبرار رضي الله عنهم أجمعين. **(وسطرت)** أي: وكتبت. **(آثارها)** أي: الآثار الدالة عليها، والمتضمنة لإثباتها، ومجيئها. **(الأخيار)** المراد بهم هنا: علماء الأمة من التابعين، وتابيعهم، وأئمة السلف.

(١) أخرجه الترمذي بلفظه في «سننه» في كتاب الفتن برقم ٤٠٣٩.

* فصل *

في أمر المعاد

(١١٥) واجزم بأمر البعث والنشور والحشر جزماً بعد نفخ الصور

(واجزم) أي: جزم إيقان، وإذعان، واعتقاد. **(بأمر البعث)** أي: البعث بعد الموت. **(والنشور)** من النشر ويراد به هنا؛ بعد الموت يوم القيامة[1]. **(والحشر)** هو اجتماع الخلق يوم القيامة، وفي أرض المحشر أي: الأرض التي يحصل اجتماع الخلق عليها لأجل الجزاء، وفصل القضاء. **(جزماً)** مصدر مؤكد لقوله: واجزم. **(بعد نفخ الصور)** المراد بعد نفخة البعث.

وحاصل ما ذكر في هذا البيت أربعة أشياء: البعث، والنشور، والحشر، والنفخ في الصور، أما البعث فالمراد به المعاد الجسماني، إذ هو يجب اعتقاده، ويكفر منكره، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يـٰس]، وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو حاتم، والإسماعيلي، والحافظ الضياء في «المختارة»، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس ﵄ قال: جاء العاص بن وائل إلىٰ رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته بيده، فقال يا محمد ﷺ! يحيي الله هذا بعدما أرم؟ قال: «نعم، يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم».

وقوله: «ثم» للترتيب الإخباري لا للترتيب الحكمي، كقولهم بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب، أي: أخبرك أن ما صنعته أمس أعجب.

واعلم أنه يجب الجزم شرعاً أن الله تعالىٰ يبعث جميع العباد، ويعيدهم بعد إيجادهم بجميع أجزائهم الأصلية، وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلىٰ آخره، ويسوقهم إلىٰ محشرهم لفصل القضاء، وهذا حق ثابت

---

(١) هذه الجملة ليست من المؤلف، وضعتها للمناسبة، فإن المؤلف اقتصر القول في توضيح (النشور) بأنه من القبور.

بالكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة، والأصل فيما لا دليل على وجوبه، ولا على امتناعه؛ الإمكان، كما يقول المتكلمون من أن كل ما قرع سمعك من الغرائب قدره في حيز الإمكان ما لم يردك عنه قائم البرهان. والأنبياء تأتي بما تدركه العقول، أو تتحير فيه، ولا تأتي بما تحيله العقول أبداً؛ وهذا معنى قولهم: إن الأنبياء تأتي بمحارات العقول، لا بمحالات العقول.

قال تعالى: في إعادة الموتى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

قال القرطبي: (والصُور قرن من نور يجعل فيه أرواح الخلائق) وقال مجاهد: كالبوق. وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه».

والنفخ في الصور ثلاث نفخات:

الأولى: نفخة الفزع وهي التي يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

الثانية: نفخة الصعق، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

الثالثة: نفخة البعث والنشور، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس].

(١١٦) كذا وقوف الخلق للحساب والصحف والميزان للثواب

(كذا) أي: كما يجب الجزم بالبعث، والنشور، والحشر بعد النفخ في الصور. **(وقوف الخلق)** فإنه يجب علينا أن نجزم أيضاً بوقوف الخلق من الإنس، والجن، والدواب، والطير، وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف]. قال ابن عباس ﵄ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ [التكوير]؛ يحشر كل شيء حتى الذباب ليحشر.

واعلم أن لهذا الوقوف أهوالاً، فقد روى الشيخان عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﵁ مرفوعاً أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يَعْرَقُ النّاسُ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتّىٰ يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ

في الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِراعاً وَيُلْجِمُهُمْ حَتّىٰ يَبْلُغَ آذانَهُمْ»[1] وأخرج مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إذا كان يَوْمُ الْقِيامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبادِ حَتّىٰ تَكُونَ قِيدَ مِيلٍ أَوِ اثْنَيْنِ» قال سُلَيْمٌ: لا أَدْرِي أَيَّ الْمِيلَيْنِ عَنىٰ؛ أَمَسافَةُ الأَرْضِ أَمِ الْمِيلُ الَّذِي تُكْتَحَلُ به الْعَيْنُ؟ قالَ: «فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ فَيَكُونُونَ في الْعَرَقِ بِقَدْرِ أعْمالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إلىٰ عَقِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إلىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إلىٰ حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إلْجاماً» فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُشِيرُ بِيَدِهِ إلىٰ فيهِ أَيْ: يُلْجِمُهُ إلْجاماً[2]. فقد روىٰ الإمام أحمد، وأبو يعلىٰ، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْماً كان مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ما أَطْوَلَ هذا الْيَوْمَ فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلىٰ الْمُؤْمِنِ حَتّىٰ يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيها في الدُّنْيا»[3].

(للحساب) أي: أن وقوفهم هذا يكون لأجل محاسبتهم قال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر] وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]. **(والصحف)** جمع صحيفة؛ وهي الكتب التي كتبتها الملائكة، وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [التكوير] قال الثعلبي: (وإنما يؤتىٰ بالصحف إلزاماً للعباد ورفعاً للجدل والعناد فمن أخذ كتابه بيمينه، فقد فاز، ومن أخذه بشماله، فقد خاب وخسر، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق]. **(والميزان)** أي: وكذلك يجب الإيمان بالميزان الذي توزن به الحسنات، والسيئات، قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الرقائق برقم ٦١٦٧.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في «سننه» في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع برقم ٢٣٤٥، وفي الأصل حذف المؤلف بعض الكلمات فأثبتها.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم ١١٢٩٢.

نُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة]. **(للثواب)** أي: ثواب الأعمال الصالحة، وكذلك للسيئات الفاضحة.

(١١٧) كذا الصراط ثم حوض المصطفىٰ فيا هنا لمن به نال الشفا

(كذا الصراط) أي: كذلك أجزم بوجود الصراط فهو حق ثابت، والصراط لغة؛ الطريق الواضح، وفي اصطلاح الشرع؛ هو جسر ممدود علىٰ متن جهنم يردُهُ الأولون والآخرون.

جاء في صفته ما رواه البخاري، والإسماعيلي واللفظ له، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر] قال: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النّارِ فَيُحْبَسُونَ علىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ والنّارِ فَيَقْتَصُّ بَعْضُهمْ مِنْ بَعْضٍ مَظالِمَ كانَتْ بَيْنَهُمْ في الدُّنْيا حَتّىٰ إذا هُذِّبُوا، وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ في دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأحَدُهُمْ أهْدىٰ بِمَنْزِلِهِ في الْجَنَّةِ مِنْهُ بمنزله في الدنيا»[1] وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (بلغني أن الجسر أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيف)[2].

(ثم حوض المصطفىٰ) أي: ثم أجزم بوجود حوض النبي ﷺ؛ فإنه ثابت بالإجماع من أهل الحق، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر] وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً»[3]. **(فيا هنا)** الهنيء

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الرقائق بمعناه برقم ٦١٧٠، وأيضاً أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» بمعناه برقم ١١٢١٨.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان برقم ٢٦٩ بكلمة (الشعرة) بدلاً من الشعر.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الرقائق برقم ٦٢٠٨.

ما أتاك بلا مشقة، فكأنه يقول: أيها الشراب السائغ الهنيئ الآتي بلا مشقة. **(لمن به)** أي: لأي شخص بسبب شربه. **(نال الشفا)** أي: حصل علىٰ الشفاء من ظمأ ذلك اليوم، روىٰ ابن أبي عاصم من حديث أُبي بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ قيل له: ما الحوض؟ قال: «والذي نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن، وأحلىٰ من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك، وآنيته أكثر عدداً من النجوم، لا يشرب منه إنسان فيظمأ أبداً، ولا يصرف عنه إنسان فيروىٰ أبداً».

(١١٨) عنه يذاد المفتري كما ورد ۝ ومن نحا سبل السلامة لم يُرَدْ

(عنه) يعني: عن حوض النبي ﷺ. **(يذاد)** أي: يطرد، ويدفع. **(المفتري)** الكذاب، والمعني بهم هنا: المرتدون، وأهل البدع، والضلال، والروافض، والخوارج. **(كما ورد)** أي: كما جاء في صحيح الأخبار عن النبي ﷺ، فقد روىٰ مسلم في «صحيحه» من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «ليردن علي الحوض أقوام فيختلجون دوني، فأقول رب أصحابي، رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[1]. وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال: «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، أو قال: من أمتي، فيحالون عن الحوض، فأقول: يا رب، أصحابي فيقول: إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا علىٰ أدبارهم القهقرىٰ»[2]. **(ومن نحا)** أي: وأي شخص من هذه الأمة من ذكر، أو أنثىٰ قصد. **(سبل)** جمع سبيل، وهو الطريق. **(السلامة)** هي البراءة من العيوب يعني أنه من نهج منهج الحق، وسلك طريق السنة، وسلم من البدع، وكبائر الذنوب، فإنه يَرِدُ علىٰ حوض النبي ﷺ، ويشرب منه، **(لم يُرَدْ)** أي: لم يُدفع عن الحوض والشرب منه.

(١١٩) فكن مطيعاً واقف أهل الطاعة ۝ في الحوض والكوثر والشفاعة

(فكن مطيعاً) أي: كن مطيعاً لما جاءت به الأخبار. **(واقف)** أي: واتبع

---

(١) هذا الحديث أخرجه أيضاً الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» وأضاف فيه بعد فيقال «لي» برقم ٢٢٢٠٢.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في حديث طويل برواية عن سهل بن سعد بمعناه في كتاب الرقائق برقم ٦٢١٣.

في اعتقادك. **(أهل الطاعة)** يعني: بهم أهل السنة والجماعة، فإنها هي الفرقة الناجية. **(في الحوض والكوثر)** أي: في اعتقاد ثبوت الحوض الذي تقدم ذكره، والكوثر معناه: الخير الكثير، وروىٰ مسلم في «صحيحه» من حديث المختار بن فلفل عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي ﷻ»[1]، قال ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح»: (وقالت عائشة ﷺ: الكوثر نهر في الجنة، ليس أحد يدخل إصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر. قال ابن القيم: وهذا معناه ـ والله أعلم ـ أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل إصبعيه في أذنيه). **(والشفاعة)** أي: وكذلك اعتقد بوقوع شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة.

واعلم أن للنبي ﷺ شفاعات:

الأولىٰ: الشفاعة التي يشفع فيها لأهل الموقف حتىٰ يُقضىٰ بينهم، فقد روىٰ الشيخان من حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَيُلْهَمُونَ لذَلِكَ اليوم فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنا إلىٰ رَبِّنا حتىٰ يريحنا من مقامنا هذا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيقُولُونَ: يا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْماءَ كُلِّ شَيْءٍ فاشْفَعْ لَنا إلىٰ رَبِّكَ حتىٰ يُرِيحنا مِنْ مَكانِنا هذا فَيَقُولُ لَهُمْ آدَمُ: لَسْتُ هُناكُمْ ـ وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ الَّذِي أصاب فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ من ذلك، وَيَقُولُ: ـ وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحاً فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إلىٰ أهل الأَرْضِ؛ فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُ: لَسْتُ هُناكُمْ ـ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ سُؤالَ رَبِّهِ ما لَيْسَ لَهُ به عِلْمٌ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ من ذَلِكَ ـ وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْراهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمٰنِ، فَيَأْتُونه فَيَقُولُ: لَسْتُ هُناكُمْ وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسىٰ؛ عَبْداً كَلَّمَهُ اللهُ وَأَعْطاهُ التَّوْراةَ؛ فَيَأْتُونَ مُوسىٰ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُناكُمْ ـ وَيَذْكُرُ لَهُمُ النَّفْسَ الَّتِي قَتَلَ بِغَيْرِ حقٍّ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْ ذَلِكَ ـ وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسىٰ عَبْدَ اللهِ، وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَتَهُ، وَرُوحَهُ؛ فَيَأْتُونَ عِيسىٰ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُناكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّداً عَبْداً غَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَما تَأَخَّرَ؛ فَيَأْتُونِي فَأَقُومُ فَأَمْشِي بَيْنَ سِماطَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَتّىٰ أَسْتَأْذِن

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الصلاة بمعناه ٦٠٧ وهو حديث طويل.

علىٰ رَبِّي، فَإذا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ ساجِداً، فَيَدَعُنِي ما شاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقالُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ واشْفَعْ تشفع وسل تعطه. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ»[1].

الثانية: يشفع عند ربه في إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفاً بغير حسابٍ» فقال رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ» ثُمَّ قامَ آخَرُ فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قالَ: «سَبَقَكَ بها عُكّاشَةُ»[2]. رواه مسلم.

الثالثة: شفاعته ﷺ في قوم استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم، فلا يدخلونها.

الرابعة: في رفع درجات ناس في الجنة.

الخامسة: شفاعته ﷺ في إخراج عموم أمته من النار حتىٰ لا يبقىٰ منهم أحد، فعن أنس ﷺ: (يشفع محمد ﷺ حتىٰ يخرج من النار من كان في قلبه مثقال شعيرة من خير، ثم يشفع محمد حتىٰ يخرج من النار من كان في قلبه مثقال خردلة من خير، ثم يشفع محمد ﷺ حتىٰ يخرج من النار من كان في قلبه أدنىٰ من شطر خردلة من خير». وفي رواية: «فأقول: ربي أمتي أمتي، فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها»، وقال في المرة الثانية: «مثقال حبة من خردل من إيمان». وقال: في المرة الثالثة: «فمن كان في قلبه أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار»[3].

السادسة: شفاعته ﷺ في التخفيف من عذاب بعض الكفار، كشفاعته

---

(١) بمعنى هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» وهو طويل أكثر من هذا برقم ١١٧١٠.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان برقم ٣١٧ بلفظه لكن مع تقديم وتأخير.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد بمعناه في حديث طويل برقم٧٠٧٢.

في التخفيف عن عمه أبي طالب، فعن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله! هَلْ نَفَعْتَ أَبا طالِبٍ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ كان يَحُوطُكَ، وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قالَ: «نَعَمْ، هُوَ في ضَحْضاحٍ مِنْ النّار لَوْلا أَنا لَكانَ في الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النّارِ». رواه البخاري[1].

(١٢٠) فإنها ثابتة للمصطفىٰ كغيره من كل أسباب الوفا

(فإنها) أي: الشفاعة بجميع أنواعها. **(ثابتة للمصطفىٰ)** أي: قد ثبتت صحتها عن النبي ﷺ بأنه سيشفع لهم جميعاً، نسأل الله ﷻ أن نكون من المؤمنين الداخلين في شفاعته بلا دخول نار، وعذاب. **(كغيره)** أي: كما أن الشفاعة ثابتة لغيره ﷺ. **(من كل أسباب)** أي: من كل أصحاب. **(الوفا)** هو امتثال الأوامر، والانتهاء عن الزواجر.

(١٢١) من عالم كالرسل والأبرار سوىٰ التي خصت بذي الأنوار

(من عالم) أي: كل عالم عامل بعلمه معلم لغيره، فهؤلاء كما نفعوا الناس في الدنيا بالتعليم، كذلك ينفعونهم بالشفاعة لهم عند المولىٰ الجواد الكريم، فيقبل الله سبحانه شفاعاتهم، ويعلي درجاتهم. **(كالرسل)**جمع رسول. **(والأبرار)** جمع بار، وهم الأتقياء الأخيار. **(سوىٰ)** أي: غير الشفاعات. **(التي خصت)** أي: التي هي خاصة بـ**(ذي الأنوار)** أي: صاحب الأنوار، والمقصود به نبينا ﷺ.

أخرج ابن ماجه، والبيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيامَةِ الأَنْبِياءُ ثُمَّ الْعُلَماءُ ثُمَّ الشُّهَداءُ»[2].

* * * * *

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الأدب برقم ٥٨٥٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» في كتاب الزهد بلفظه مع زيادة «يشفع يوم القيامة ثلاثة» برقم ٤٣٠٤.

الورد الثالث عشر

(١٢٢) وكـلَّ إنسـانٍ وكـلُّ جِـنَّـة   فـي دار نـار أو نـعـيـم جَـنَّـة
(١٢٣) هما مصيرُ الخلقِ من كلِّ الورىٰ   فـالـنّـار دار مـن تـعـدّىٰ وافـتـرىٰ
(١٢٤) ومـن عـصـىٰ بـذنـبـه لـم يُـخَـلَّـدِ   وإن دخـلـهـا يـا بـوار الـمـعـتـدي
(١٢٥) وجـنـةُ الـنـعـيـم لـلأبـرارِ   مـصـونـةٌ عـن سـائـر الـكـفّـارِ
(١٢٦) واجـزِمْ بـأنَّ الـنّـارِ كـالـجـنَّـة فـي   وجـودِهـا وأنـهـا لـم تَـتْـلَـفِ
(١٢٧) فـنـسـأل الـلّـه الـنَّـعـيـم والـنَّـظـر   لـربِّـنـا مـن غـيـر مـا شَـيْـن غَـبَـر
(١٢٨) فـإنـه يُـنْـظَـرُ بـالأبـصـارِ   كـمـا أتـىٰ فـي الـنَّـصِّ والأخـبـارِ
(١٢٩) لأنـه سـبـحـانـه لـم يَـحْـجِـبِ   إلّا عـن الـكـافِـرِ والـمـكـذِّبِ

○ ○ ○ ○ ○

(١٢٢) وكـل إنسـان وكـل جِـنَّـة   فـي دار نـار أو نـعـيـم جـنـة

(وكل إنسان) أي: من بني آدم، فالإنس، والإنسان من البشر، والواحد إنسي، وأنسي، والجمع أناسي، والمرأة إنسان، وبالهاء عامية كقولك إنسانة. **(وكل جنة)** بكسر الجيم، طائفة الجن، والجان اسم للجن. **(في دار نار)** أي: كل واحد من الثقلين؛ الإنس، والجن لا بد أن يكون إما في النار. **(أو نعيم جنة)** يعني: أو يكون في دار نعيم الجنة.

(١٢٣) هما مصير الخلق من كل الورىٰ   فـالـنـار دار مـن تـعـدىٰ وافـتـرىٰ

(هما) يعني: الجنة، والنار. **(مصير الخلق)** أي: مآل جميع الخلق من الإنس، والجن. **(من كل الورىٰ)** من جميع المخلوقين إنسهم، وجنهم، وحتىٰ الملائكة. **(فالنار دار من تعدىٰ)** أي: أن النار التي هي دار البوار ستكون داراً لكل من تجاوز حده، وخالف مولاه فكفر به. **(وافترىٰ)** أي: وكذب أن اتخذ غير الله إلهاً له.

(١٢٤) ومن عصىٰ بذنبه لم يخلد   وإن دخلها يا بوار المعتدي

(ومن عصىٰ) أي: وكل عبد عصىٰ الله ﷻ، وخالفه. **(بذنبه)** أي: بارتكاب ذنب، ولو كان من أكبر الكبائر، كالقتل، والزنىٰ، وأكل الربا، ولو لم يتب عنه. **(لم يخلد)** أي: لم يخلد في النار إذا دخلها. **(وإن دخلها)** أي: حتىٰ، وإن دخل بسبب ذلك الذنب النار ليتطهر من الأوزار، فإنه يخرج منها إما بشفاعة الشافعين أو رحمة أرحم الراحمين. **(يا بوار)** أي: يا هلاك. **(المعتدي)** أي: المتجاوز حدود الله بارتكابه الذنوب.

وهذا خلاف المعتزلة الذين يقولون أن من دخل النار فهو خالد فيها؛ لأنه إما كافر، أو صاحب كبيرة مات بلا توبة.

(١٢٥) وجنة النعيم للأبرار   مصونة عن سائر الكفار

(وجنة النعيم) هو اسم للجنة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [لقمان] قال ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح»: (وهذا أيضاً اسم جامع لجميع الجنان لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول، والمشروب، والملبوس، والصور، والرائحة، والمنظر البهيج، والمساكن الواسعة، وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن). **(للأبرار)** جمع بار، وهو كثير البر، والبر اسم جامع للخير، وهو أيضاً ضد العقوق.

جاء في «الصحيحين» عن عتبان بن مالك الأنصاري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلىٰ النّارِ مَنْ قال لا إلٰه إلّا اللهُ يَبْتَغِي وَجْه اللهِ»[١]، وجاء فيهما أيضاً من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانِي آتٍ مِنْ رَبِّيْ فأَخْبَرَنِيْ ـ أوْ قال فَبَشَّرَنِي ـ أَنَّهُ مَنْ ماتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنىٰ وَإِنْ سَرَقَ، قالَ: «وإن زَنَىٰ وإن سرق»[٢].

وروىٰ مسلم عن ابن عباس ﷺ عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان برقم ٢٣٧، وهو حديث الإسراء، وهو طويل.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في «سننه» في كتاب الإيمان بمعناه وهذا طرف الحديث برقم ٢٥٦٨.

قال: «يا ابْنَ الْخَطّابِ! اذْهَبْ فَنادِ في النّاسِ أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلّا الْمُؤْمِنُونَ»(١).

(مصونة) عن سائر الكفار.

(١٢٦) واجزم بأن النار كالجنة في وجودها وأنها لم تتلف

(واجزم) يعني: جزم تصديق وإيقان. **(بأن النار)** التي هي: دار البوار، وما فيها من أنواع العذاب. **(كالجنة)** يعني: مثل الجنة دار النعيم، والولدان، والحور، وجميع أنواع الملاذ.

(في وجودها) أي: كما أن الجنة موجودة الآن؛ فكذلك النار أيضاً موجودة، ففي «الصحيحين» من حديث أنس ﷺ في صفة الإسراء، وفي آخره: «ثُمَّ انْطَلَقَ بي جِبْرِيلُ حَتّىٰ أتىٰ سِدْرَةَ الْمُنْتَهىٰ فَغَشِيَها ألْوانٌ ما أدْرِي ما هِيَ، قال ثُمَّ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فإذا فيها جنابِذُ اللُّؤْلُؤَ وإذا تُرابُها الْمِسْكُ»(٢).

ورویٰ الإمام أحمد ومسلم، وأصحاب «السنن» من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لَمّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ والنّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إلىٰ الْجَنَّة، فقال: اذهب فانْظُرْ إلَيْها، وإلىٰ ما أَعْدَدْتُ لأَهْلِها فيها، فذهب فَنَظَر إلَيْها وإلىٰ ما أعَدَّ اللهُ لأهلِها فيها، فَرَجَعَ، وقال: بِعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِها أَحَدٌ إلّا دَخَلَها. فأمَرَ بِالجنة فَحُفَّتْ بِالْمكارِهِ. فقال: فارْجِعْ فانْظُرْ إلَيْها، وإلىٰ ما أَعْدَدْتُ لأَهْلِها فيها. قال: فَنَظَرَ إلَيْها ثُمَّ رَجَعَ، فَقالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيْتُ أنْ لا يَدْخُلَها أَحَدٌ، ثم ارسله إلىٰ النّارِ فَنَظَرَ إلَيْها يَرْكَبُ بَعْضُها بَعْضاً. فقال: لا يدخلها أحدٌ، فلمّا حُفَّتْ بالشَّهَواتِ قالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أنْ لا يَنْجُوَ

---

(١) هذا مختصر، وإضافة إلى ذلك فإن هذا النداء كان في يوم خيبر، عندما أخبر عن شهداء بعض الصحابة لرسول الله ﷺ؛ فقالوا: فلان شهيد فلان شهيد. وأمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ أن ينادي بهذا النداء. لأن أحد الصحابة كان غلَّ عمامة أو رداء في خيبر، أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، برقم ١٦٥.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان برقم ٢٣٧ في حديث الإسراء وهذا جزء منه.

مِنْها أَحَدُ إلّا دَخَلَها»[1].

(وأنها) أي: واجزم أن النار. **(لم تتلف)** أي: لم تهلك، وتبيد.

ففي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «يُجاءُ بِالْمَوْتِ في صورة كَبْشٍ أَمْلَح فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ، والنّارِ، ثمَّ يُقالُ: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فيطلعون مشفقين، وَيُقالُ: يا أَهْلَ النّارِ! فيطلعون فرحين، فيقال: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذا؟ فيَقُولُونَ: نَعَمْ هذا الْمَوْتُ، فَيُذْبَحُ بين الجنة، والنار، ويُقال: يا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ، وَلا مَوْتَ فيها، ويا أَهْلَ النّارِ خُلُودٌ، ولا مَوْتَ فيها»[2].

(١٢٧) فنسأل اللّه النعيم والنظر لربنا من غير ما شَيْنٌ غَبَر

(فنسأل الله) يعني: ندعو الله سائلين.

(النعيم) جنة النعيم ففيها كل أنواع الملاذ، وهي درجات كما جاء في «الصحيحين» أنه ﷺ قال: «الْجَنَّةُ مائَةَ دَرَجَةٍ، ما بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ»[3].

وَقال ﷺ: «إذا سَأَلْتُمُ اللهَ فاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فإنه وسط الْجَنَّةِ وَأَعلىٰ الجنة، وَفَوْقَه عَرْشُ الرَّحمٰنِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهارُ الْجَنَّةِ»[4].

(والنظر لربنا) أي: ونسأله سبحانه النظر إلىٰ وجه ربنا، وخالقنا. **(من غير ما)** ما زائدة لتأكيد النفي. **(شين)** أي: عذاب، ومناقشة حساب، وتوبيخ، والشين ضد الزين. (غبر) أي: ذهب، يعني: من غير سابق عذاب، ومناقشة حساب.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» في كتاب صفة الجنة برقم ٢٤٨٣، هذا مختصر بألفاظ مختلفة.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» بمعناه في كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها برقم ٥٠٨٧، وهو حديث طويل.

(٣) أخرجه الترمذي بلفظه، وهذا طرف الحديث برقم ٢٤٥٣.

(٤) المرجع السابق، وهو جزء من الحديث المذكور.

(١٢٨) فــإنــه يُــنــظــر بــالأبــصــار كــمــا أتــىٰ فــي الــنــص والأخــبــار

(فإنه) أي: المولىٰ ﷻ. **(يُنظر بالأبصار)** أي: يُرىٰ ﷻ بحاسة البصر في الجنة. **(كما أتىٰ)** يعني: كما جاء. **(في النص)** يعني: النص القرآني. **(والأخبار)** أي: وكما أتىٰ في الأخبار، والأحاديث النبوية، وأجمع عليه أهل الحق.

قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة] وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال في حق أهل الكفر، والفجور: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين]، وأخرج مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا، أَلَمْ تُدْخِلْنا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنا مِنَ النّارِ، قالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجابَ، فَما أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلىٰ رَبِّهِمْ» ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1]، وفي «الصحيحين» عن جرير البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ فنظر إلىٰ القمر ليلة أربعة عشر فقال: «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا»[2].

(١٢٩) لأنــه ســبــحــانــه لــم يُــحْــجَــب إلا عــن الــكــافــر والــمــكــذب

(لأنه) أي: الرب. **(سبحانه)** وتعالىٰ. **(لم يَحْجِب)** أي: لم يمتنع سبحانه من أن يُمَكِّن عباده من رؤيته في دار القرار. **(إلا عن الكافر)** فالكافر محجوب عن رؤية ربه، قال علي بن المديني: (سألت عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالىٰ، فقال: ما حجب الله ﷻ أحداً عنه إلا عذبه، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ

---

(١) أخرجه أيضاً مسلم في «صحيحه» بألفاظ مختلفة، وهو حديث طويل في كتاب الإيمان برقم ٢٦٦.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب التفسير بمعناه، برقم ٤٥٧٠.

﴿تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين] قال: بالرؤية، فقلت له: يا أبا عبد الله! إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث، أن الله ينزل إلى سماء الدنيا، وأهل الجنة يرون ربهم، فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين، والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوه؟). **(والمكذب)** أي: ويحجب أيضاً ﷻ عن كل مكذّب برؤيته. وقال الإمام أحمد: (من لم يقل بالرؤية فهو جهمي).

* * * * *

•.

الورد الرابع عشر

(١٣٠) ومن عظيم مِنَّةِ السلام ... ولُطفِه بسائرِ الأنامِ
(١٣١) أن أرشدَ الخلقَ إلىٰ الوصولِ ... مبيناً للحق بالرسولِ
(١٣٢) وشرط من أُكْرِمَ بالنُّبُوَّة ... حُرِيَّةٌ ذكورةٌ كقوَّة
(١٣٣) ولا تُنالُ رتبة النبوة ... بالكسبِ والتهذيبِ والفتوَّة
(١٣٤) لكنها فضلٌ من المولىٰ الأجل ... لمن يشا من خلقه إلىٰ الأجَل
(١٣٥) ولم تَزَلْ فيما مضىٰ الأنباءُ ... من فضله تأتي لمَنْ يَشاءُ
(١٣٦) حتىٰ أتىٰ بالخاتم الذي ختم ... به وإعلاناً علىٰ كُلِّ الأُمَم
(١٣٧) وخصه بذاك كالمقامِ ... وبعثِه لسائر الأنامِ
(١٣٨) ومعجز القرآنِ والمعراجِ ... حقاً بلا مَيْنِ ولا اعوجاجِ
(١٣٩) فكم حباه ربُّه وفضَّله ... وخصَّه سبحانه وخَوَّلَه

* * * * *

الباب الخامس

في ذكرالنبوة وذكر محمد ﷺ وذكر بعض الأنبياء والصحابة

(١٣٠) ومن عظيم منة السلام ولطفه بسائر الأنام

(ومن عظيم) أي: ومن كثير. **(منة)** المنة مأخوذة من المنِّ، وهو الإحسان، ومن أسماء الله سبحانه المنان. **(السلام)** من أسمائه ﷻ، ومعناه: ذو السلامة علىٰ المؤمنين في الجنان. وهو أيضاً ذو السلامة من كل عيب، ونقيصة. **(ولطفه)** أي: ومن عظيم رفقه. **(بسائر)** أي: بجميع. **(الأنام)** أي: الإنس والجن، وجميع ما علىٰ وجه الأرض. ومن أسمائه تعالىٰ اللطيف.

(١٣١) أن أرشد الخلق إلىٰ الوصول مبيناً للحق بالرسول

(أن أرشد) أي: هدىٰ ودل، ودعا ﷻ. **(الخلق)** يعني: الإنس والجن. **(إلىٰ الوصول)** إلىٰ معرفة الله تعالىٰ، وعبادته والقيام بما شرعه من التكليف. **(مبيناً)** أي: مظهراً، وموضحاً. «للحق» يعني: لنهج الحق، والحق هو الحكم المطابق للواقع، ويقابل الباطل، ومن أسمائه تعالىٰ الحق. **(بالرسول)** متعلق بمبين، أي: أن الله سبحانه بين الحق بواسطة رسوله ﷺ.

(١٣٢) وشرط من أكرم بالنبوة حرية ذكورة كقوة

(وشرط من) أي: يشترط فيمن، **(أكرم بالنبوة)** أي: أكرمه الله سبحانه بمنصب النبوة. **(حرية)** الحرية ضد الرق فيشترط أولاً في النبي أن يكون حرّاً، لأن الرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة، والنبي يكون داعياً للناس آناء الليل، وأطراف النهار، والرقيق لا يتيسر له ذلك. **(ذكورة)** وأيضاً يشترط في النبي أن يكون ذكراً؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ﴾

[النحل: ٤٣]؛ وذلك لأن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوىٰ، والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار. **(كقوة)** أي: ويشترط في النبي القوة؛ بأن يكون قوياً، والقوة ضد الضعف، فيكون قوياً في جميع صفاته المادية، والمعنوية، فيكون ذا عقل صحيح، وفهم رجيح، وعلم بالأمور الدينية حسن الخَلق، والخُلق ليسهل عليه تحمل الخلق في مخالطتهم، وتعليمهم، فإن الأنبياء منزهون عن جميع الرذائل؛ من البخل، والجبن، واللهو، واللغو، وسائر الأخلاق الذميمة.

(١٣٣) ولا تنال رتبة النبوة بالكسب والتهذيب والفتوة

(ولا تنال) أي: لم تعط. **(رتبة النبوة)** أي: منزلة النبوة. **(بالكسب)** أي: بالتكسب. **(والتهذيب)** أي: ولا تنال بتنقية البدن، وتصفية الأخلاق، وخلوص البنية من الأخلاق الرذيلة. **(والفتوة)** أي: وكذلك لا تنال رتبة النبوة بكرم النفس، فمذهب أهل الحق أن النبوة لا تنال بمجرد الكسب بالجد، والاجتهاد، وتكلف أنواع العبادات، والمران علىٰ تهذيب النفس، وتنقية خواطرها.

(١٣٤) لكنها فضل من المولىٰ الأجل لمن يشا من خلقه إلىٰ الأجل

(لكنها) أي: النبوة، والرسالة. **(فضل)** أي: إحسان ومنة. **(من المولىٰ الأجل)** وهو الله ﷻ. **(لمن يشاء)** أن يعطيها الله سبحانه للشخص الذي يريد إكرامه، فلا يبلغها أحد بعلمه، ولا يستحقها بكسبه. **(من خلقه)** أي: أحد من مخلوقاته؛ من إنس، وجن، ومن زعم أنها مكتسبة؛ فهو زنديق يجب قتله. **(إلىٰ الأجل)** يعني: أن النبوة فضل من الله، ونعمة يمن بها الرب الحكيم، والعليم الكريم، علىٰ من يشاء ويريد إكرامه بها، وكان ذلك ممتداً من عهد آدم عليه الصلاة والسلام إلىٰ النبي الخاتم محمد ﷺ.

(١٣٥) ولم تزل فيما مضىٰ الأنباء من فضله تأتي لمن يشاء

(ولم تزل فيما مضىٰ) أي: في سائر الأزمان الماضية. **(الأنباء)** جمع نبي كالأنبياء، والنبيين. (من فضله) أي: من فضل الله ﷻ، ورأفته، ولطفه، لا من حيث أنه واجب عليه تعالىٰ. **(تأتي)** أي: تجيء بإبلاغ الشرائع، وبيان

الحق، وإيضاح السبيل. **(لمن)** أي: لكل أهل زمن من الأمم الماضية. **(يشا)** أي: يشاء الله ﷻ بتبليغ ما يشاء علىٰ ألسنة من شاء من أنبيائه فلم تخل الأرض من داع يدعو إلىٰ الله تعالىٰ، من لدن آدم، إلىٰ أن بعث محمد ﷺ، فيجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل.

(١٣٦) حتىٰ أتىٰ بالخاتم الذي ختم به وإعلاناً علىٰ كل الأمم

(حتىٰ أتىٰ) أي: إلىٰ أن جاء. **(بالخاتم)** أي: بالرسول ﷺ. **(الذي ختم به)** أي: الذي ختم الله به النبيين، والمرسلين، وأكمل بدينه كل دين، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلا نبي بعده.

روىٰ الشيخان من حديث جابر بن عبد الله ؓ، عن النبي ﷺ، أنه قال: «مَثَلِي، وَمَثَلُ الأنْبِياءِ كَمثل رَجُلٍ بَنىٰ داراً فأكْمَلَها، وأحْسَنَها إلّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فَجَعَلَ النّاسُ يَدْخُلُونَ، وَيَعْجبونَ منها، وَيَقُولُونَ لَوْلا مَوْضِعُ لبِنَة»[(١)] زاد مسلم: «فجئت فختمت الأنبياء»[(٢)].

(وإعلاناً) يعني: نحن أمة محمد ﷺ.

(علىٰ كل الأمم) يعني: الأمم الماضية، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وروىٰ مسلم، وأبو داود، والترمذي من حديث ثوبان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظاهِرِينَ عَلىٰ الْحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتّىٰ يَأْتِي أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[(٣)]. وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِنا وَأُوتِيناهُ مِنْ بَعْدِهِمْ»[(٤)]. وفي رواية لمسلم:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب المناقب، برقم ٣٣٤١.
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الفضائل بمعناه، برقم ٤٢٤٠.
(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإمارة بلفظه، برقم ٣٥٤٤.
(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الجمعة بلفظه، برقم ٨٥٦.

«نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»[1].

قال الإمام ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح»: «فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض، وأسبقهم إلىٰ مكان في الموقف، وأسبقهم إلىٰ ظل العرش، وأسبقهم إلىٰ الفصل، والقضاء بينهم، وأسبقهم إلىٰ الجواز علىٰ الصراط، وأسبقهم إلىٰ دخول الجنة، فالجنة محرمة علىٰ الأنبياء حتىٰ يدخلها محمد ﷺ، ومحرمة علىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أُمته».

وأول من يدخل الجنة من هذه الأمة من بعد نبيها ﷺ: أبو بكر الصديق، روىٰ أبو داود بسنده أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَبا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِيْ»[2].

* فصل *

في بعض خصائص النبي ﷺ

(١٣٧) وخصه بذاك كالمقام وبعثه لسائر الأنام

(وخصه) أي: خص الله سبحانه نبيه محمد ﷺ دون سائر الأنبياء.

(بذاك) أي: بكونه ختم النبوة به، فلا نبي بعده، ولا رسول، لقوله تعالىٰ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وذلك يستلزم ختم المرسلين؛ لأن ختم الأعم يستلزم ختم الأخص بلا عكس. **(كالمقام)** أي: كما أنه سبحانه خص نبيه الكريم ﷺ بالمقام المحمود، وهو الشفاعة العظمىٰ كما تقدم الكلام علىٰ ذلك. **(وبعثه)** وكذلك خص الله نبيه بأن بعثه. **(لسائر الأنام)** أي: لجميع الخلق من الإنس، والجن، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

(١٣٨) ومعجز القرآن والمعراج حقاً بلا مين ولا اعوجاج

(ومعجز القرآن) أي: وخص الله نبيه محمداً ﷺ أيضاً بالقرآن المعجز؛

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» بلفظه في كتاب الجمعة برقم ١٣١٤.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» بمعناه برقم ٤٠٣٣، في كتاب السنة والنص «أما إنك يا أبا بكر» وذكر النص.

الذي أعجز الثقلين عن معارضته، فاعترفوا بالعجز عن الإتيان بأقصر سورة من مثله. **(والمعراج)** كما اختصه سبحانه بالعروج إلىٰ السماوات العلىٰ بجسده، وروحه ﷺ. **(حقاً)** أي: اجزم جزماً باتاً. **(بلا مين)** أي: بلا امتراء، ولا كذب، ولا ريب. **(ولا اعوجاج)** الاعوجاج هو غير المستقيم، روىٰ مسلم في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُتِيتُ بِالْبُراقِ، وَهُوَ دابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمارِ وَدُونَ الْبَغْلة، يَضَعُ حافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهىٰ طَرْفِهِ. قال: فَرَكِبْتُهُ حَتّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَرَبَطْتُهُ بالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ به الأنْبِياءُ، قالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فيهِ رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ خَرَجْتُ فَجاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بإناءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإناءٍ مِنْ لَبَنٍ، فاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فقال جِبْرِيلُ عليه السلام، اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. قالَ: ثُمَّ عَرَجَ بنا إلىٰ السَّماءِ فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ له: مَنْ أَنْتَ؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قَدْ بُعِثَ إلَيْهِ فَفُتِحَ لَنا»[1] الحديث.

(١٣٩) فكم حباه ربه وفضله وخصه سبحانه وخوله

(فكم حباه ربه) أي: كم خصه ربه ﷻ بمكرمة. **(وفضله)** أي: وكم فضله على غيره بمزية من المزايا التي لا تحصىٰ، فإن كم هذه خبرية بمعنىٰ كثير، فهي تفيد كثرة ما خصه ربه به من المكرمات. **(وخصه سبحانه)** أي: وكم خصه ﷻ بخصوصية. **(وخوّله)** بمعنىٰ: أعطاه.

* * * * *

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان، برقم ٢٣٤ وهو طويل.

الورد الخامس عشر

(١٤٠) ومـعـجـزات خـاتـمُ الأنـبـاء ... كـثـيـرة تـجـل عـن إحـصـائِـي

(١٤١) منها كلامُ اللّه معجز الورىٰ ... كذا انشقاقُ البدر في غير امْتِرا

(١٤٢) وأفضلُ العالم من غير امْتِرا ... نبيُّنا المبعوثُ في أمِّ القُرىٰ

(١٤٣) وبعده الأفضلُ أهلُ العزمِ ... فالرُّسْلُ ثُمَّ الأنبيا بالجزمِ

(١٤٤) وأن كُلَّ واحدٍ منهم سَلِم ... من كلِّ ما نقص ومن كُفْر عُصِم

(١٤٥) كذاك من إفك ومن خيانة ... لوصفهم بالصِّدق والأمانَة

(١٤٦) وجائز في حقِّ كُلِّ الرُّسْلِ ... النوم والنكاح مثلُ الأكلِ

(١٤٧) وليس في الأمَّةِ بالتحقيقِ ... في الفضل والمعروف كالصِّدِّيقِ

(١٤٨) وبعده الفاروق من غير افترا ... وبعده عثمانُ فاترك المِرا

(١٤٩) وبعد فالفضل حقيقاً فاسمع ... نظامي هذا للبطين الأنزع

(١٥٠) مجدِّلَ الأبطالِ ماضي العزمِ ... مفرِّجَ الأوجالِ وافي الحزمِ

○ ○ ○ ○ ○

* فصل *

في بعض معجزاته ﷺ

(١٤٠) ومـعـجـزات خـاتـم الأنـبـاء ... كـثـيـرة تـجـل عـن إحـصـائـي

(ومعجزات) هي: جمع معجزة، وهي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة. **(خاتم الأنباء)** يعني: نبينا محمداً ﷺ، والأنبياء جمع نبي. **(كثيرة)** أي: أنواعها، وآحادها كثيرة جداً. **(تجل عن إحصائي)** يعني: تكبر، وتعظم عن عدي لكثرة أفرادها، وتنوعها من الأقوال، والأفعال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمة في كتابه «الجواب الصحيح»: (الآيات، والبراهين الدالة علىٰ نبوة نبينا محمد ﷺ كثيرة متنوعة، وهي أكثر، وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، قال: ويسميها النظار معجزات، وتسمىٰ دلائل النبوة، وأعلام النبوة، ونحو ذلك، قال: وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل علىٰ المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب، ولا في السنة، وإنما فيه لفظ الآية، والبينة، والبرهان، وأهل الكلام لا يسمون معجزاً إلا ما كان للأنبياء فقط، وأما ما يثبت للأولياء من خرق عادة؛ يسمونها كرامة، قال: والسلف كالإمام أحمد بن حنبل، وغيره كانوا يسمون هذا، وهذا معجز، ويقولون لخوارق الأولياء: إنها معجزات إذ لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بخلاف ما كان آية، وبرهاناً علىٰ نبوة النبي، فإن هذا يجب اختصاصه، وربما سموا الكرامات آيات؛ لكونها تدل علىٰ نبوة من اتبعه الولي، فإن الدليل يستلزم المدلول فيمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول، فكذلك ما كان آية، وبرهاناً، وهو الدليل، والعلم علىٰ نبوة النبي يمتنع أن يكون لغير النبي).

(١٤١) منها كلام اللّه معجز الورىٰ كذا انشقاق البدر في غير امترا

(منها) أي: من معجزات نبينا. **(كلام الله)** يعني: القرآن الكريم. **(معجز الورىٰ)** أي: معجز الخلق جميعاً. **(كذا)** وأيضاً من معجزاته ﷺ. **(انشقاق البدر)** أي: انشقاق القمر، والبدر هو القمر الممتلئ ليلة الخامس عشرة.

(في غير امترا) أي: من غير شك، ولا جدل. والتماري، والمماراة هما: المجادلة علىٰ مذهب الشك، والريبة. وإنما قال: من غير امترا لثبوت ذلك، وظهوره لكل أحد، فقد روىٰ الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَراهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتّىٰ رَأَوْا حِراءَ بَيْنَهُما[1]، وأخرج أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر]. قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب المناقب بلفظه برقم ٣٦٥٥.

* فصل *

في ذكر فضيلة نبينا، وأولي العزم، وغيرهم من النبيين صلوات الله، وسلامه عليهم أجمعين

(١٤٢) وأفضل العالم من غير امترا ... نبينا المبعوث في أم القرىٰ

(وأفضل العالم) من ملك، وبشر، وجن، في الدنيا والآخرة، والعالم هو كل ما سوىٰ الله، أفضلهم في سائر خلال الخير، وخصال الكمال، ونعوت المكارم، والجمال. **(من غير امترا)** أي: من غير شك. **(نبينا)** خبر المبتدأ الذي هو أفضل العالم، يعني محمداً ﷺ. **(المبعوث)** أي: الذي بعثه الله سبحانه لكافة الناس، والجن. **(في أم القرىٰ)** أي: في مكة المكرمة، قال تعالىٰ: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٢]، أخرج الترمذي، وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ما خلق الله وما ذرأ نفساً هي أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعته أقسم بحياة أحد غيره، فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر]).

(١٤٣) وبعده الأفضل أهل العزم ... فالرسل ثم الأنبيا بالجزم

(وبعده) أي: بعد النبي ﷺ في الأفضلية. **(الأفضل)** أي: من سائر الخلق. **(أهل العزم)** أي: هم أهل الثبات، والجد من الرسل وهم علىٰ المشهور نوح وإبراهيم، وموسىٰ وعيسىٰ، فيكونون خمسة مع نبينا محمد ﷺ، وهم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]. **(فالرسل)** ويليهم في الأفضلية، بقية الرسل المكرمين بالرسالة، فهم أفضل من الأنبياء عليهم السلام غير الرسل، وبه يعلم أن الرسالة أفضل من النبوة. **(ثم الأنبيا)** أي: وبعدهم في الأفضلية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم متفاوتون في الفضيلة، فبعضهم أفضل من بعض، قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. **(بالجزم)** أي: فهذا واجب الاعتقاد بلا شك، ولا ريب.

❊ فصل ❊

فيما يجب للأنبياء عليهم السلام، وما يجوز عليهم، وما يستحيل في حقهم

(١٤٤) وأن كل واحد منهم سلم   من كل ما نقص ومن كفر عصم

(وأن كل واحد منهم) أي: ويجب على كل مسلم أن يعلم أن كل واحد من الأنبياء الكرام، والرسل العظام. **(سلم)** أي: تنزه. **(من كل ما)** **ما** زائدة تفيد تأكيد ما سلموا منه. **(نقص)** أي: عيب، والمعنى أنهم عليهم السلام منزهون من كل عيب يؤدي إلى إزالة الحشمة، وإسقاط المروءة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. **(ومن كفر)** يعني: وأن كل واحد من الرسل عليهم السلام منزه من الكفر بجميع أنواعه؛ بالكفر المخرج من الملة، والكفر الذي هو دون كفر. **(عصم)** العصمة هي المنعة، فالأنبياء معصومون بمعنى ممنوعون عن الكفر قبل النبوة، وبعدها.

❊ تنبيه ❊

اعلم أن نبينا ﷺ لم يكن قبل البعثة على دين قومه، بل ولد مسلماً مؤمناً كما قال ابن عقيل، وغيره، وقال الحافظ ابن رجب: (قال حنبل: قلت لأبي عبد الله ـ يعني الإمام أحمد ـ من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه قبل أن يبعث؟ قال: هذا قول سوء ينبغي لصاحب هذه المقالة أن يحذر كلامه، ولا يجالس. قلت: إن جارنا الناقد أبا العباس يقول هذه المقالة، قال: قاتله الله، وأي شيء أبقى إذا زعم أن رسول الله ﷺ كان على دين قومه، وهم يعبدون الأصنام؟! قال الله تعالى مخبراً عن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾) قال الحافظ ابن رجب: (ومراد الإمام أحمد الاستدلال بتقديم البشارة بنبوته من الأنبياء من قبل خروجه إلى الدنيا، وولادته).

(١٤٥) كذاك من إفك ومن خيانة   لوصفهم بالصدق والأمانة

(كذاك) أي: وكذلك فإن كل واحد من الأنبياء؛ والمرسلين قد عصم.

(من إفك) أي: من كذب. **(ومن خيانة)** أي: وهم معصومون من الخيانة. **(لوصفهم)** أي: وذلك لاتصافهم. **(بالصدق)** أي: بخلق الصدق الذي هو ضد الكذب. **(والأمانة)** أي: واتصافهم بـ«الأمانة» التي هي ضد الخيانة، فالضدان لا يجتمعان.

(١٤٦) وجائز في حق كل الرسل النوم والنكاح مثل الأكل

(وجائز) يعني: جائز عقلاً، وشرعاً. **(في حق كل)** أي: في حقّ جميع. **(الرسل)** والأنبياء عليهم الصلاة والسلام. **(النوم)** أي: ومن هذه الجائزات النوم إذ هو رحمة من الله تعالىٰ علىٰ عباده لتستريح أبدانهم عند تعبهم. **(والنكاح)** أي: جماع النساء فيجوز عليهم وطء النساء بالملك بشرط كونهن مسلمات، وقيل: بمطلق الملك، ولو كن غير مسلمات. **(مثل الأكل)** أي: وكذلك الأكل، والشرب، وبالجملة فإن ما لم يكن واجب الثبوت لهم، ولا واجب النفي عنهم، فوجوده، وعدمه جائز في حقهم، فهم بشر، وأرسلوا إلىٰ البشر، فظواهرهم خالصة للبشر يجوز عليها من الآفات، والتغييرات، والآلام، والأسقام، وتجرع كأس الحمام ما يجوز علىٰ البشر مما لا نقيصة فيه، فإن نبينا ﷺ كان يمرض، ويتألم، وكان يصيبه الحر، والجوع، والعطش، والغضب، والضجر، والنصب، والتعب، ونحو ذلك مما لا نقص فيه، ولا يوجب الاتصاف به نوع نفرة.

(١٤٧) وليس في الأمة بالتحقيق في الفضل والمعروف كالصديق

(وليس في الأمة) يعني أمة الإسلام، وهي أفضل الأمم. **(بالتحقيق)** أي: الثابت المنصوص، والتدقيق البات المخصوص. **(في الفضل)** بجميع أنواع الفضائل. **(والمعروف)** يعني: وبذل المعروف، والمعروف هو مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم. **(كالصديق)** أي: كأبي بكر الصديق ﷺ، وهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن غالب، وأم الصديق أم الخير سلمىٰ بنت صخر بن عمرو بن كعب بنت عم أبيه وكنية أبيه أبو قحافة، وقد أسلم أبواه، وماتا مسلمين، وكان موت أبيه في خلافة عمر بن الخطاب. وأبو بكر الصديق هو أول الناس إيماناً بالنبي ﷺ من الرجال، وأسلم علىٰ يديه خلق كثير منهم عثمان بن عفان، والزبير، وطلحة،

وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. وقال ابن الجوزي: (هو أول من جمع القرآن، وأول من سمىٰ القرآن مصحفاً، وأول من سمي خليفة، وهو أفضل الصحابة، وخيرهم بإجماع أهل السنة). أخرج الإمام أحمد، وغيره عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وعمر) قال الحافظ الذهبي: (هذا متواتر عن علي ﷺ فلعن الله الرافضة ما أجهلهم).

وفي «الصحيحين» عن عمرو بن العاص ﷺ قال: (قُلْتُ: يا رسول الله! أَيُّ النّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: «عائِشَةُ»، قُلْتُ مِنَ الرِّجالِ: «قالَ أَبُوها»، قُلْتُ: ثُمَّ؟ قالَ: «عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ»)[1]. وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيْلاً غَيْرَ رَبِّي لاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ»[2].

(١٤٨) وبعده الفاروق من غير افترا وبعده عثمان فاترك المرا

(وبعده) أي: بعد أبي بكر الصديق يليه في الفضيلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. **(الفاروق)** وقد سماه بهذا رسول الله ﷺ، لما أسلم، لأن الله فرق به بين الحق، والباطل، وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزىٰ بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأبو جهل بن هشام خاله. وفضائله كثيرة، أخرج البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)[3] وكان إسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في السنة السادسة من البعثة، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة، وكان إسلامه بعد تسع وثلاثين رجلاً، وإحدىٰ عشرة امرأة، ففرح المسلمون بإسلامه، وظهر الإسلام بمكة عقب إسلامه.

جاء في «الصحيحين» من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» بمعناه ٣٤٦٢ في كتاب المناقب.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب فضائل الصحابة بلفظه برقم ٣٤٥٤.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب المناقب بلفظه برقم ٣٤٨١.

رسول الله ﷺ: «يا ابْنَ الْخَطّابِ! والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما لَقِيَكَ الشَّيْطانُ سالِكاً فَجّاً إلّا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ»[1]، وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ كان فيمَنْ كان قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ فإنْ يَكُنْ في أُمَّتِي أَحَدٌ فإنَّهُ عُمَرُ»[2] ومحدثون أي ملهمون، وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلىٰ لِسانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»[3] قال ابن عمر: (وما نزل بالناس أمر قط فقالوا، وقال عمر؛ إلا نزل القرآن علىٰ نحو ما قال عمر).

(من غير افترا) أي: من غير كذب. **(وبعده)** أي: بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يليه في الأفضلية أمير المؤمنين أبو عمرو، وأبو عبد الله ذو النورين. **(عثمان)** وهو **عثمان** بن عفان بن أبي العاص الحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي، وأمه أروىٰ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. ولد عثمان رضي الله عنه في السنة السادسة من عام الفيل، وأسلم قديماً علىٰ يد الصديق الأعظم ـ أبي بكر ـ قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر الهجرتين إلىٰ الحبشة، وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ قبل البعثة، وماتت عنده في السنة الثانية من الهجرة عند رجوع النبي ﷺ من غزوة بدر العظمىٰ، ولم يشهد عثمان رضي الله عنه بدراً لتخلفه بإذن رسول الله ﷺ ليمرض رقية رضي الله عنها، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، ولما ماتت رقية زوجه النبي ﷺ أختها أم كلثوم، وتوفيت عنده أيضاً سنة تسع من الهجرة، قال العلماء: ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره، ولذلك سمي بذي النورين، فهو من السابقين الأولين، وأول المهاجرين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب المناقب بلفظه برقم ٣٤٨٠ إلا أضاف كلمة «قط» بعد فجاً. وكذلك الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب فضائل الصحابة أضاف فيها «قط» برقم ٤٤١٠.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب المناقب بمعناه برقم ٣٤٨٦.

(٣) أخرجه الترمذي بلفظه في كتاب المناقب برقم ٣٦١٥.

عنهم راضٍ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن، وتميز بجمعه في المصحف علىٰ هذا الترتيب اليوم.

أخرج الشيخان عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»، وأخرج البخاري أَنَّ عُثْمانَ ﵁ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ وَقالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ وَلا أَنْشُدُ إلّا أَصْحابَ النبي ﷺ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ» فَجَهَّزْتُهُمْ؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ حَفَرَ بئر رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ» فَحَفَرْتُها؟ فَصَدَّقُوهُ بِما قالَ»[١]. وأخرج الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال لعثمان: «يا عثمان! إن الله ـ وفي لفظ لعل الله ـ مُقَمِّصُكَ قَمِيصاً فَإِنْ أَرادُوكَ عَلىٰ خَلْعِهِ فَلا تَخْلَعْهُ حتىٰ يخلعوه ـ وفي لفظ ـ فلا تخلعه حتىٰ تلقاني»[٢]، وأخرج الترمذي عن أبي سهلة قال: سمعت عثمان ﵁ يقول يوم الدار: (إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً فأنا ممتثل له، وصابر عليه إن شاء الله، فصبر حتىٰ قتل ﵁ شهيداً).

(فاترك المرا) أي: الجدال والشك. فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ من جملة من بايعه، وقد غزا معه، وكان يقيم الحد بين يديه. واستشهد عثمان بن عفان ﵁ في داره سنة خمسة وثلاثين في أوسط أيام التشريق، وصلىٰ عليه الزبير. وولي الخلافة إحدىٰ عشرة سنة، وأحد عشر شهراً، وثلاثة عشر يوماً، ومدة حصاره في داره إلىٰ أن قتل سبعة وأربعون يوماً، واستشهد وهو يومئذ صائم، وله من العمر اثنتان وثمانون سنة. أخرج الإمام أحمد عن المغيرة بن شعبة ﵁ أنه دخل علىٰ عثمان ﵁ وهو محصور فقال: (إنك إمام العامة، وقد نزل بك ما ترىٰ وإني أعرض عليك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهن؛ إما أن تخرج فتقاتلهم فإن معك عدداً وقوة، وأنت علىٰ الحق، وهم علىٰ الباطل، وإما أن تخرق لك باباً سوىٰ الباب الذي هم عليه فتقعد

---

(١) بوّب الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب الوصايا.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب بمعناه برقم ٣٦٣٨.

علىٰ رواحلك فتلحق بمكة فإنهم لن يستحلوك وأنت بها، وإما أن تلحق بالشام فإن أهل الشام فيهم معاوية. فقال عثمان ﷺ فأما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خالف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلىٰ مكة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم» فلن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتي، ومجاورة رسول الله ﷺ.

(١٤٩) وبعد فالفضل حقيقاً فاسمع نظامي هذا للبطين الأنزع

(وبعد) أي: وبعد عثمان بن عفان ﷺ، علىٰ القول الرجيح، والمذهب الصحيح. **(فالفضل)** الشامخ، والمجد الباذخ من سائر الأمة واتفاق الأئمة. **(حقيقاً)** أي: في حقيقة الأمر من غير شك. **(فاسمع)** فعل أمر. **(نظامي)** أي: منظومي. **(هذا)** الذي أدرجت فيه عقيدة السلف الصالح. **(للبطين الأنزع)** أي: العظيم البطن، والمراد بكونه بطيناً؛ أن بطنه عظيم لتضلعه من العلوم والمعارف، والمراد بالأنزع؛ المنحسر شعر رأسه مما فوق الجبين.

(١٥٠) مجدل الأبطال ماضي العزم مفرج الأوجال وافي الحزم

(مجدل الأبطال) قال في القاموس: جدله فانجدل، وتجدل؛ صرعه علىٰ الجدالة كسحابة الأرض مطلقاً أو ذات رمل دقيق. **(والأبطال)** جمع بطل. ولا شك أن علياً ﷺ قتل من الأبطال عدة؛ مثل الوليد بن عتبة يوم بدر، وعمرو بن عبد ود يوم الخندق، ومرحب من أبطال خيبر، وغيرهم. **(ماضي العزم)** إشارة إلىٰ شدة قوته، والماضي: من مضىٰ في الأمر مضاء، ومضىٰ السيف أي: قطع. والعزم: الجد والصبر، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. **(مفرج)** أي: كاشف. **(الأوجال)** جمع وجل، وهو: الخوف. **(وافي الحزم)** إشارة إلىٰ وفور عقله وغزارة فطنته وفضله، والحزم؛ ضبط الرجل أمره، والحذر من فواته.

* * * * *

الورد السادس عشر

(١٥١) وافي النَّدىٰ مبدي الهُدىٰ مُردي العدا   مُجلي الصَّدا يا ويل من فيه اعتدىٰ
(١٥٢) فحبه كحبهم حتماً وجب   ومن تعدّىٰ أو قَلىٰ فقد كَذَب
(١٥٣) وبعد فالأفضل باقي العَشَرَة   فأهلُ بدرٍ ثم أهلُ الشَّجَرَة
(١٥٤) وقيل أهلُ أحدٍ المُقدَّمة   والأوَّلُ أولىٰ للنُّصُوص المُحْكَمَة
(١٥٥) وعائشة في العلم مع خديجة   في السَّبْقِ فافْهم نُكْتَةَ النَّتِيْجَة
(١٥٦) وليس في الأمَّةِ كالصحابة   في الفَضْلِ والمعروفِ والإصابَة
(١٥٧) فإنهم قد شاهدوا المُختارا   وعاينُوا الأسرارَ والأنوارا
(١٥٨) وجاهدوا في اللّهِ حتىٰ بانا   دين الهدىٰ وقد سَما الأديانا
(١٥٩) وقد أتىٰ في محكم التنزيلِ   من فضلِهم ما يَشْفِي لِلغَليلِ
(١٦٠) وفي الأحاديث وفي الآثارِ   وفي كلام القومِ والأشعارِ
(١٦١) ما قد ربا من أن يُحيط نظمِي   عن بعضه فاقْنَع وخُذ عن علم

○ ○ ○ ○ ○

(١٥١) وافي الندىٰ مبدي الهدىٰ مردي العدا   مجلي الصدىٰ يا ويل من فيه اعتدىٰ

(وافي) أي: كثير. **(الندىٰ)** أي: السخاء والكرم. **(مبدي)** أي: مظهر. **(الهدىٰ)** الرشاد، والدلالة. **(مردي العدا)** اسم فاعل من أرداه إذا أهلكه، وكسره. **(مجلي)** أي: مزيل. **(الصدىٰ)** أي: العطش، والمراد به كاشف الكرب، ومجلي النوب. **(يا ويل)** يراد بها الدعاء بالحزن، والهلاك، والمشقة. **(من)** أي: إنسان مكلف من ذكر، وأنثىٰ. **(فيه)** أي: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. **(اعتدىٰ)** بانتقاصه، وانحطاطه عن منزلته الشامخة، أو غلا فيه غلواً خارجاً عن طوره، كغلاة أهل الرفض.

أخرج البزار، وأبو يعلىٰ، والحاكم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إن فيك مثلاً من عيسىٰ ابن مريم عليه السلام؛ أبغضته اليهود حتىٰ بهتوا أمه، وأحبته النصارىٰ حتىٰ أنزلوه المنزل الذي ليس به» ألا وإنه يهلك فيّ اثنان: محب يقرظني ليس في، ومبغض يحمله شنآني علىٰ أن يبهتني.

وهو علي بن أبي طالب، واسمه عبد مناف، وقيل: اسمه كنيته، ابن عبد المطلب، واسمه شيبة الحمد بن هشام بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. ابن عم النبي ﷺ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي أول هاشمية ولدت هاشمية في الإسلام، وقد أسلمت، وهاجرت. وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة، وصهره علىٰ سيدة النساء فاطمة الزهراء، وأحد السابقين إلىٰ الإسلام، **(ومن تعدىٰ)** أي: وأي مكلّف مسلم تعدّىٰ، وتجاوز حدّه بأنه لم يحبهم، أو لم يقل بفضل الخلفاء الراشدين علىٰ ترتيب الخلافة. **(أو قلىٰ)** أي: أو قلل من شأنهم، أو شأن أحدهم؛ بأن أبغضهم، أو كرههم. **(فقد كذب)** أي: فقد ارتكب ما استحق عليه إثم الكاذب.

❁ تنبيهات ❁

الأول: أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم فقد روىٰ الإمام أحمد، وأصحاب السنن، في حديث سفينة رضي الله عنه مولىٰ رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْخِلافَةُ ثَلاثُونَ عاماً ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُلْكُ»[1]، ولم يكن في الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة، وأيام الحسن رضي الله عنه.

الثاني: ترتيب الخلفاء الراشدين في الأفضلية علىٰ ترتيبهم في الخلافة. قال الإمام أحمد (علي رضوان الله عليه؛ رابعهم في الخلافة، والتفضيل) وقال: (من فضل علياً علىٰ أبي بكر، وعمر، أو قدمه عليهما في الفضيلة، والإمامة دون النسب، فهو رافضي مبتدع فاسق).

الثالث: أن المحبة الدينية لازمة للأفضلية علىٰ حسب زيادتها، ونقصها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» بمعناه، برقم ٢٠٩١٠.

سئل الإمام أبو زرعة الولي العراقي عمن اعتقد في الخلفاء الأربعة الأفضلية علىٰ الترتيب المعلوم، ولكن يحب أحدهم أكثر، هل يأثم أو لا؟ فأجاب بأن المحبة قد تكون لأمر ديني، وقد تكون لأمر دنيوي، فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية، فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر، فمتىٰ اعتقدنا في واحد منهم أنه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضاً، نعم إن أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوي كقرابة، وإحسان، ونحوه فلا تناقض في ذلك، ولا امتناع.

(١٥٣) وبعد فالأفضل باقي العشرة فأهل بدر ثم أهل الشجرة

(وبعد) أي: بعد الخلفاء الراشدين. **(فالأفضل)** أي: من سائر الصحابة الكرام. **(باقي العشرة)** أي: العشرة المبشرين بالجنة، علىٰ لسان خاتم المرسلين، وهم الستة الذين توفي رسول الله ﷺ، وهو عنهم راضٍ.

أحدهم: أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، وأمه الصعبة بنت عبد الله بن عماد الحضرمي أخت العلاء بن الحضرمي، أسلمت، وأسلم طلحة قديماً علىٰ يد أبي بكر الصديق، وشهد المشاهد كلها غير بدر، لأن النبي ﷺ كان أنفذه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العير التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب.

قتل ﵁ يوم وقعة الجمل سنة ست وثلاثين، وله أربع وستون سنة.

الثاني: أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الأسدي، وأمه صفية بنت عبد المطلب ﵄، عمة رسول الله ﷺ، أسلمت، وأسلم هو قديماً علىٰ يد أبي بكر الصديق ﵁، شهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، قتل في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين، وعمره أربعة وستون سنة.

الثالث: أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهر بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري، وأمه حمنة بنت سفيان، أسلم سعد قديماً علىٰ يد أبي بكر الصديق ﵄، شهد المشاهد

كلها مع رسول الله ﷺ، وهو آخر العشرة موتاً، قيل: سنة خمس وخمسين، وقيل: سبع وخمسين، وله بضع وسبعون سنة.

الرابع: أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزىٰ، وباقي نسبه معروف من نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي العدوي، وأمه فاطمة بنت بعجة بن أميّة من خزاعة، أسلم قديماً، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، غير بدر، فإنه كان مع طلحة بن عبيد الله يطلبان خبر عير قريش، وضرب لهما النبي ﷺ بسهمين في الغنيمة والأجر، مات سنة إحدىٰ وخمسين، وقيل: اثنتين وخمسين، وله بضع وسبعون سنة.

الخامس: أبو محمد عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، فسماه النبي ﷺ عبد الرحمٰن، وأمه الشعار بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة، أسلمت، وهاجرت، وأسلم عبد الرحمٰن قديماً علىٰ يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، مات سنة اثنتين وثلاثين، وله ثنتان وسبعون سنة.

السادس: أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري، أسلم مع عثمان بن مظعون، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، مات في طاعون عمواس بالأردن سنة ثماني عشرة.

روىٰ الترمذي من حديث عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «أبو بَكْرٍ في الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ في الْجَنَّةِ، وَعُثْمانُ في الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ في الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ في الْجَنَّةِ، والزُّبَيْرُ في الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ في الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بن أبي وقاص في الْجَنَّةِ، وَسَعِيد بن زيد في الْجَنَّةِ، وَأبو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرّاحِ في الْجَنَّةِ»[1]. **(فأهل بدر)** يعني: وبعد العشرة المبشرين بالجنة، يأتي في الأفضلية أهل غزوة بدر العظمىٰ، وهي الغزوة التي أعز الله بها الإسلام، وقمع بها عبدة الأصنام، وبدر قرية مشهورة قريبة من المدينة المنوّرة، وكانت

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» قريباً بمعناه في كتاب المناقب برقم ٣٦٨٠.

وقعة بدر نهار الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، وكان عدد المسلمين فيها ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، روىٰ البخاري عن البراء بن عازب ﵄ قال: كُنَّا أَصْحابَ رسول الله ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحابِ بَدْرٍ عَلىٰ عِدَّةِ أَصْحابِ طالُوتَ، الَّذِينَ عبروا مَعَهُ النَّهَرَ وَلَمْ يَجاوِزْهُ مَعَهُ إلّا مُؤْمِنٌ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاثَ مِائَةٍ»[1].

(ثم أهل الشجرة) أي: وبعد أهل بدر في الأفضلية يأتي أهل بيعة الرضوان تحت الشجرة المعهودة، وتسمىٰ شجرة البيعة، وشجرة الرضوان، ولما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ بلغه أن ناساً يذهبون إلىٰ الشجرة فيصلون تحتها، ويتبركون بها، فأمر ﵁ بها فقطعت، وأخفىٰ مكانها خشية الافتتان بها، ولما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن من تعظيم أهل الجهل لها، حتىٰ ربما أفضىٰ بهم جهلهم إلىٰ أن بها قوة نفع، وضر، كما هو مشاهد من شأن الناس في هذه الأزمان.

(١٥٤) وقيل أهل أُحد المقدمة والأول أولىٰ للنصوص المحكمة

(وقيل أهل أُحد) يعني: أهل غزوة أُحد، إذ **قيل**: إن فضل أهل غزوة أُحد أكثر من فضل غزوة بدر، فأشار بالفعل المبني للمجهول من القول، إشارة إلىٰ أن الأصح الأفضل أهل بدر، فأهل أُحد، فأهل البيعة. **(المقدمة والأول)** وهو تقديم أهل البيعة في الأفضلية علىٰ أهل غزوة أُحد. **(أولىٰ)** يعني: أحق، وأحرىٰ بذلك.

(للنصوص) أي: وذلك لورود النصوص من الكتاب، والسنة علىٰ صحة هذا، وكانت غزوة أُحد في نصف شوال سنة ثلاث، أول نهار السبت، روىٰ البخاري من حديث سهل بن سعد ﵁ أن رسول الله ﷺ قال لأُحد لما بدا له: «هذا جَبَلٌ يُحِبُّنا وَنُحِبُّهُ»[2]، وأخرج الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود عن

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب المغازي بمعناه برقم ٤٧٣١.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» بلفظه في كتاب أحاديث الأنبياء ٣١٨٧، وكذلك وجدت في «مسلم» وغيره من «السنن».

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمّا أُصِيبَ إِخْوانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ تعالىٰ أَرْواحَهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ، خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمارِها، وَتأْوِي إِلىٰ قَنادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَة في ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ، وَحسن مَقِيلِهِمْ، قالُوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله تعالىٰ لنا، وفي لفظ قالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوانَنا أَنّا أَحْياءٌ في الْجَنَّةِ نُرْزَقُ، لِئَلّا يَزْهَدُوا في الْجِهادِ، وَلا يَنْكُلُوا عَنِ الْحَرْبِ، فقال اللهُ ﷻ: أَنا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ. قال فَأَنْزَلَ اللهُ تعالىٰ هؤلاء الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] إلىٰ آخر الآية»[1]. وأما أهل الشجرة أهل البيعة، وهم أصحاب الحديبية، فقد وردت النصوص المحكمة في فضلهم، فقد أخرج الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَنْ بايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إِلّا صاحِبَ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ»[2] قالوا: بأن المقصود بصاحب الجمل الأحمر هو الجد بن قيس[3] الذي لم يبايع، وعدَّه الحافظ ابن الجوزي من المنافقين.

(١٥٥) وعائشة في العلم مع خديجة   في السبق فافهم نكتة النتيجة

(وعائشة) هي: الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أم عبد الله أم المؤمنين، وحبيبة رسول رب العالمين، عقد عليها وهي بنت ست سنين، قبل الهجرة بسنتين، وبنىٰ بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولىٰ وهي بنت تسع، ومات عليها وهي بنت ثمان عشرة، وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع،

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» في كتاب الجهاد برقم ٢١٥٨ بمعناه.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في «سننه» في كتاب المناقب بلفظه برقم ٣٧٩٨.

(٣) هذا من المنافقين كما ذكره ابن الجوزي. وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم برقم ٤٩٨٦ برواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: «من يصعد الثّنيّة ثنيّة المرار فإنه يُحط عنه ما حُط عن بني إسرائيل». قال: فكان أول من صعدها خيلنا خيل بني الخزرج ثم تتام الناس. فقال رسول الله ﷺ: «وكلكم مَغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر» فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ. فقال: «والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم». قال: وكان رجل ينشد ضالة له).

وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة ﷺ، سنة ثمان وخمسين. **(في العلم)** أي: هي ﵄ وعن أبيها أفضل نساء النبي ﷺ في العلم والفقه. **(مع خديجة)** هي: أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي بن كلاب، أول أزواج رسول رب العالمين، تزوجها رسول الله، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبقيت معه إلىٰ أن أكرمه الله تعالىٰ برسالته، فآمنت به، وصدقته، ونصرته، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في الأصح، ولم يتزوج ﷺ عليها غيرها، وكل أولاده منها؛ الذكور، والإناث إلا إبراهيم ﵇، فإنه من سريته مارية القبطية. **(في السبق)** أي: أنها أفضل زوجاته ﷺ في السبق إلىٰ الإسلام، فقد كان تأثيرها في أول الإسلام، فكانت تسلي رسول الله ﷺ، وتثبته، وتبذل دونه مالها، واحتملت الأذىٰ في الله، وفي رسوله. **(فافهم)** أي: فهم تحقيق، وإذعان، وتدقيق. **(نكتة النتيجة)** أي: أثر فائدة الخلاف بين العلماء في أفضلية عائشة، وخديجة وأيهما أفضل؛ إذ لا بد من التفضيل، فعائشة أفضل في العلم، وخديجة أفضل في السبق إلىٰ الإسلام.

روىٰ البخاري في «صحيحه» من حديث أبي هريرة ﷺ قال: (أَتىٰ جِبْرَيلُ النَّبِيَّ ﷺ فقال يا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَها إناءٌ فيهِ إدامٌ أَوْ طَعامٌ أَوْ شَرابٌ فَإذا هِيَ أَتَتْكَ فاقْرَأْ عَلَيْها السَّلامَ مِنْ رَبِّها، وَمِنِّيْ، وَبَشِّرْها بِبَيْتٍ في الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لا صَخَبَ فيهِ، وَلا نَصَبَ)[1]، وأخرج البخاري، ومسلم عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: قال لي رسول الله ﷺ يَوْماً: «يا عائِشَةَ هذا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلامَ» فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، قالَتْ: وهو يَرىٰ ما لا أَرىٰ[2]. وروىٰ البخاري، ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فَضْلُ عائِشَةَ عَلىٰ النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلىٰ سائِرِ الطَّعامِ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب المناقب بلفظه برقم ٣٦١٠.
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» بمعناه في كتاب المناقب برقم ٣٥٥٧.
(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب فضائل الصحابة برقم ٤٤٧٨.

❁ فصل ❁

في ذكر الصحابة الكرام بطريق الإجمال

(١٥٦) وليس في الأمة كالصحابة   في الفضل والمعروف والإصابة

(وليس في الأمة) يعني: الأمة المحمدية المفضلة علىٰ سائر الأمم. **(كالصحابة)** أي: مثل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فإنهم فازوا بصحبة خير الأنام، فهم كلهم عدول بإجماع أهل الحق، ولا اعتبار لغيرهم، ولا كرامة.

(في الفضل) جاء في «الصحيحين» في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تَسُبُّوا أَصْحابِي، فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلا نَصِيفَهُ»[1]، وهذا وإن ورد علىٰ سبب، وهو ما جرىٰ بين عبد الرحمٰن بن عوف، وبين خالد بن الوليد رضي الله عنهما فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولا ينافي كون الخطاب لأصحابه فإن المراد لا يسب غير أصحابي أصحابي، ولا يسب بعضهم بعضاً، فالمراد النهي عن حصول السب لهم مطلقاً. وأيضاً فإذا كان هذا النهي موجهاً إلىٰ خالد بن الوليد، وهو الصحابي الجليل ذي القدم المعلىٰ، واعتبره الرسول ﷺ في مقابل عبد الرحمٰن بن عوف كأن عبد الرحمٰن هو الصحابي أصالة، وذلك لسبقه في الإسلام فإن النهي يكون متوجهاً إلىٰ غير خالد، وطبقته، والذين جاؤوا من بعدهم بطريق الأولىٰ، وفي «الصحيحين» عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُ النّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[2].

(والمعروف) أي: وليس في الأمة كالصحابة في المعروف، والمعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي بلفظه برقم ٣٧٩٦ في كتاب المناقب والبخاري في «صحيحه» بمعناه في كتاب المناقب برقم ٣٤٧٠.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب فضائل الصحابة برقم ٤٦٠١.

الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهىٰ عنه من المحسنات، والمقبحات.
(والإصابة) أي: وليس في الأمة أيضاً كالصحابة في الإصابة للحكم المشروع، والهدي المتبوع، فهم أحق الأمة بإصابة الحق، والصواب، وروىٰ أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد من حديث العرباض بن سارية ﷺ؛ أن النبي ﷺ قال له: «وإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[1].

(١٥٧) فإنهم قد شاهدوا المختارا وعاينوا الأسرار والأنوارا

(فإنهم) يعني: الصحابة الكرام. **(قد شاهدوا)** يعني: رأوا، وصحبوا. **(المختارا)** وهو محمد ﷺ. **(وعاينوا)** أي: رأوا، وباشروا في صحبتهم للنبي ﷺ. **(الأسرار)** يعني: الأسرار القرآنية، والسنة النبوية القولية، والفعلية، والتقريرية. **(والأنوارا)** يعني: وكذلك عاينوا الأنوار القرآنية، والأشعة المصطفوية فهم أسعد الأمة بإصابة الصواب، وأجدرهم بفقه السنة، والكتاب لفوزهم بصحبة النبي ﷺ، ومشاهدة نزول الوحي.

(١٥٨) وجاهدوا في الله حتىٰ بانا دين الهدىٰ وقد سما الأديانا

(وجاهدوا في الله) أي: وجاهدوا في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله. **(حتىٰ بانا)** أي: حتىٰ ظهر، ووضح. **(دين الهدىٰ)** أي: دين الإسلام الذي به الهدىٰ، والدلالة الموصلة، والفوز والفلاح. **(وقد سما)** أي: علا دين الإسلام. **(الأديانا)** أي: جميع الأديان التي كانت قبله، فقد نسخها جميعاً، وكل عبادة لم يأت بها دين الإسلام فهي باطلة منسوخة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

---

(١) أخرجه أصحاب «السنن» كلهم من حديث العرباض بن سارية ﷺ بألفاظ مختلفة مع تقديم وتأخير، أخرجه ابن ماجه برقم ٤٢ و٤٣، وأحمد في «مسنده» برقم ١٦٥٢١ و١٦٥٢٢، والترمذي ٢٦٠٠ كتاب العلم، وأبو داود ٣٩٩١ كتاب السنة، والدارمي ٩٥ مقدمة.

(١٥٩) وقد أتىٰ في محكم التنزيل من فضلهم ما يشفي للغليل

(وقد أتىٰ في محكم التنزيل) أي: وقد جاء في القرآن الكريم، والذكر الحكيم. **(من فضلهم)** أي: فضل الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ **(ما يشفي)** أي: ما يبرئ. **(للغليل)** أي: العطشان، والمراد ما يطفئ حرارة الجهل، وينفي الوهم، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١٦٠) وفي الأحاديث وفي الآثار وفي كلام القوم والأشعار

(وفي الأحاديث) يعني: الأحاديث النبوية. **(وفي الآثار)** أي: الآثار السلفية. **(وفي كلام القوم)** يعني: وقد أتىٰ في كلام القوم من المحدثين، والفقهاء. **(والأشعار)** يعني: الأشعار المرضية في مدحهم، والثناء عليهم.

(١٦١) ما قد ربا من أن يحيط نظمي عن بعضه فاقنع وخذ عن علم

(ما قد ربا) أي: زاد، ونما، وعلا. **(من أن يحيط نظمي)** أي: يشتمل أرجوزتي. (عن بعضه) متعلق بقد ربا يعني: فضلاً عن غالبه وكله. **(فاقنع)** أي: فاكتف بما ذكرته لك من الآيات، والأحاديث. **(وخذ عن علم)** أي: وخذ ذلك، واعتمد عليه، واعتصم به، واستند إليه، واقنع به، وارض عنه.

* * * * *

الورد السابع عشر

(١٦٢) واحذر من الخوض الذي قد يُزْري بفضلهم مما جَرىٰ لو تَدْري
(١٦٣) فإنه عن اجتهاد قد صدر فاسلم أذلَّ اللّهُ من لهُم هَجَر
(١٦٤) وبعدهم فالتابعون أحرىٰ بالفضل ثم تابعوهم طَرا
(١٦٥) وكل خارق أتىٰ عن صالح من تابعٍ لشرعنا وناصح
(١٦٦) فإنها من الكرامات التي بها نقول فاقْفِ للأدلةً
(١٦٧) ومن نفاها من ذوي الضلال فقد أتىٰ في ذاك بالمُحال
(١٦٨) فإنها شهيرةٌ ولم تزل في كل عصر يا شقا أهلِ الزَلَل
(١٦٩) وعندنا تفضيلُ أعيانِ البشر علىٰ مِلاك ربِّنا كما اشتَهر
(١٧٠) قال: ومن قال سوىٰ هذا افترىٰ وقد تعدّىٰ في المقالِ واجتَرىٰ

○ ○ ○ ○ ○

(١٦٢) واحذر من الخوض الذي قد يزري بفضلهم مما جرىٰ لو تدري

(واحذر) أي: حذر إذعان، وتسليم، مع سلامة صدر، وامتثال أمر النبي الكريم ﷺ. **(من الخوض)** أي: الخوض المفضي إلىٰ التوسع، والتنقيب، والتسبيح، والتأنيب. **(الذي قد يزري)** أي: الذي قد ينقص، ويحط. **(بفضلهم)** يعني: بفضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. **(مما)** أي: من الاختلاف، والتخاصم، والتشاجر. **(جرىٰ)** أي: الذي قد حصل بينهم. **(لو تدري)** أي: لو كنت تدري غِبَّ ذلك الخوض المفضي إلىٰ توليد الإحن وحزازات القلوب، والحقد علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك أنه جرىٰ بين علي، ومعاوية، وقبلهما، وبعدهما من المنازعات، والمقاتلات ما لو صدرت عن سواهم، أو كانت من غيرهم لم تقصر عن التفسق.

(١٦٣) فـإنـه عـن اجـتـهـاد قـد صـدر   فـاسـلَـم أذلَّ الـلّـه مـن لـهـم هـجـر

(فإنه) يعني: التخاصم، والنزاع، والتقاتل الذي جرىٰ بين الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. **(عن اجتهاد قد صدر)** أي: كان مصدر ذلك كله الاجتهاد؛ فإنهم كانوا مجتهدين، وإن كان المصيب في ذلك واحداً، وهو علي رضي الله عنه، والمخطئ هو كل من نازعه، غير أن للمخطئ في الاجتهاد أجراً، وثواباً، خلافاً لأهل الجفاء، والعناد، فكل ما صح مما جرىٰ بين الصحابة الكرام وجب حمله علىٰ وجه ينفي عنهم الذنوب، والآثام، فمقالة العباس في علي رضي الله عنهما لا تفضي إلىٰ شين، وتقاعد علي عن مبايعة الصديق الأعظم في بدء الأمر كان لأحد أمرين: إما لعدم مشورته كما عتب عليه بذلك، وإما وقوفاً مع خاطر سيدة نساء العالمين فاطمة البتول عليها السلام، مما ظنت أنه لها الإرث من أرض فدك التي كانت لأبيها ﷺ، ومنعها أبو بكر الصديق رضي الله عنه لحديث رسول الله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة»، ولم تكن فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها قد سمعت به. ثم إن علياً بايع الصديق رضي الله عنهما علىٰ رؤوس الأشهاد، وتوقف علي رضي الله عنه عن الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه؛ إما لعدم العلم بالقاتل، وإما خشية تزايد الفساد والطغيان، وكانت عائشة، وطلحة، والزبير، ومعاوية رضي الله عنهم، ومن اتبعهم ما بين مجتهد، ومقلد في جواز محاربة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. **(فاسلم)** أي: من الخوض في تلك البحور. **(أذل الله من لهم هجر)** أي: أذل الله تعالىٰ كل مبتدع عادىٰ الصحابة، ولم يوالهم؛ كالرافضة.

قال ابن حزم: (الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً)، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء]. والحاصل أنه لا يهجر الصحابة، ويعاديهم إلا عدوّ لله، مبعود من رحمة الله، خبيث، زنديق، والله ولي التوفيق.

(١٦٤) وبـعـدهـم فـالـتـابـعـون أحـرىٰ   بـالـفـضـل ثـم تـابـعـوهـم طـرا

(وبعدهم) أي: بعد الصحابة. **(فالتابعون)** يعني: التابعين للصحابة

بإحسان. **(أحرىٰ)** أي: أحق، وأجدر. **(بالفضل)** يعني: بالفضائل، والتقديم علىٰ غيرهم من سائر أهل الإيمان، وتعريف التابعي هو: كل من صحب الصحابي، ومطلقه مخصوص بالتابعي بإحسان.

وقد جاء في «صحيح مسلم» مرفوعاً: «إنَّ خَيْرَ التّابِعِينَ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ أُوَيْسٌ وَلَهُ والِدَةٌ وَكانَ به بَياضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ»[1] والدليل علىٰ أفضلية التابعين ما رواه الشيخان مرفوعاً: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

(ثم تابعوهم) أي: ثم الأفضل بعد التابعين هم تابعوهم؛ أتباع التابعين لما مرّ من الحديث. **(طراً)** أي: جميعاً. قال ابن القيم في كتاب «إعلام الموقعين»: (ألقىٰ الصحابة الكرام إلىٰ التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً، فكان سندهم من. . . . سنداً صحيحاً عالياً، وقالوا: هذا عهد نبينا إلينا، وقد عهدناه إليكم، وهذه وصية ربنا، وفرضه علينا، وهي وصيته، وفرضه عليكم، فجرىٰ التابعون لهم بإحسان علىٰ منهاجهم، واقتفوا آثار صراطهم المستقيم). وكانوا بالنسبة إلىٰ من قبلهم كما قال تعالىٰ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة].

* فصل *

في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها

(١٦٥) وكل خارق أتىٰ عن صالح   من تابع لشرعنا وناصح

(وكل خارق) أي: خارق للعادة، وخرق العادة هو، حصول الشيء علىٰ خلاف ما جرت العادة في حصوله، والخوارق ستة أنواع: **الأول: المعجزة**، وقد تقدم الكلام عليها. **الثاني: الكرامة**؛ وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوىٰ النبوة، ولا هو مقدمة، يظهر علىٰ يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي، كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح، أم لم يعلم. **الثالث: الإرهاص**؛ وهو كل خارق تقدم

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب فضائل الصحابة برقم ٤٦١٢.

النبوة فهو مقدمة لها، فالمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوىٰ النبوة، والإرهاص المقدمة لها قبلها، كقصة أصحاب الفيل. **الرابع: الاستدراج**، والمكر وهو أن يظهر علىٰ إنسان لا إيمان له، ولا عمل صالح. **الخامس: المعونة** كما يظهر بسبب بعض عوام المسلمين، وضعفاء أهل الدين؛ تخليصاً لهم من المحن، والمكاره. **السادس: الإهانة**، والاحتقار كما فعل مسيلمة الكذاب، إذ مسح بيده علىٰ رأس غلام فانقرع، وتفل في بئر عذبة ليزداد ماؤها حلاوة، فصار ملحاً أجاجاً، ومن الخوارق الفاسدة: السحر والشعوذة، ونحوهما. **(أتىٰ)** أي: ذلك الخارق. **(عن صالح)** يعني: عن إنسان صالح، وهو الولي العارف بالله، وصفاته حسب ما يمكن. **(من تابع لشرعنا)** أي: من إنسان تابع لشرعنا نحن المسلمين؛ لأن سائر الشرائع سواه قد نسخت. **(وناصح)** يعني: الناصح لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وخاصتهم، وعامتهم.

(١٦٦) فإنها من الكرامات التي بها نقول فاقف للأدلة

(فإنها) تكون. **(من الكرامات التي بها نقول)** أي: من الكرامات التي نقول بجوازها. واعلم أنه لا يلزم من صحة الكرامات، ووجودها صدق من يدّعيها بدون بيّنة، أو قرائن حالية تفيد الجزم بذلك، وإن مشىٰ علىٰ الماء، أو في الهواء، أو سُخِّرت له الجن، والسباع. **(فاقف)** أي: اتبع. **(للأدلة)** يعني: الأدلة الشرعية، والمشاهدات الحسيّة، والقواطع العقلية، فإن كرامات الأولياء ثابتة بالعيان، والبرهان.

(١٦٧) ومن نفاها من ذوي الضلال فقد أتىٰ في ذاك بالمحال

(ومن نفاها) وأي إنسان كائناً من كان نفىٰ كرامات الأولياء، فلم يقل بجوازها فضلاً عن وقوعها. **(من ذوي الضلال)** أي: من أصحاب الزيغ عن منهج أهل السنّة والجماعة. **(فقد أتىٰ في ذاك)** أي: أنه ارتكب في نفيه لكرامة الأولياء. **(بالمحال)** متعلق بأتىٰ.

(١٦٨) فإنها شهيرة ولم تزل في كل عصر يا شقا أهل الزلل

(فإنها) يعني: كرامات الأولياء. **(شهيرة)** أي: مشهورة للعيان، ثابتة

بالبرهان. **(ولم تزل)** أي: لا تزال تظهر علىٰ يد الأولياء الصالحين. **(في كل عصر)** أي: من الأعصار الماضية وإلىٰ الآن. **(يا شقا أهل الزلل)** أي: بما ارتكبوه، ويا خسارتهم لما انتحلوا من رد المحسوس.

* فصل *

في المفاضلة بين البشر، والملائكة

(١٦٩) وعندنا تفضيل أعيان البشر　　علىٰ ملاك ربنا كما اشتهر

(وعندنا) يعني أهل السنّة، وخصوصاً أهل الأثر، وسلف الأمة. **(تفضيل أعيان البشر)**: الذين هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. **(علىٰ ملاك ربنا)** أي: في الأفضلية. **(كما اشتهر)** أي: اشتهر ورود النصوص عن الإمام أحمد.

(١٧٠) قال: ومن قال سوىٰ هذا افترىٰ　　وقد تعدىٰ في المقال واجترىٰ

(قال) يعني: الإمام أحمد. **(ومن قال)** أي: وأي إنسان قال بلسانه، أو اعتقد بجنانه. **(سوىٰ هذا)**: خلاف تفضيل أعيان بني آدم علىٰ الملائكة. **(افترىٰ)** أي: أتىٰ بكلام خطأ يشعر بالافتراء. **(وقد تعدىٰ)** أي: تجاوز الحد. **(في المقال)**: الذي اعتمده. **(واجترىٰ)** أي: افتات علىٰ الشارع بالاعتقاد الذي اعتقده، والتفاضل ما بين الملائكة، والأنبياء ﷺ إنما هو بالطاعات، وكثرة المثوبات، وشرف النبوات، والرسالات، والدرجات العليا، فكل من كان فيها أتم؛ فهو أفضل.

* * * * *

٠٠

الورد الثامن عشر

(١٧١) ولا غـنـىٰ لأمـة الإسـلام — فـي كـل عـصـر كـان عـن إمـامِ
(١٧٢) يـذُبُّ عـنـهـا كـل ذي جُـحُـودِ — ويـعـتـنـي بـالـغـزو والـحـدُودِ
(١٧٣) وفـعـلِ مـعـروفٍ وتـركِ نـكـرِ — ونـصـر مـظـلـوم وقـمـعِ كـفـرِ
(١٧٤) وأخـذُ مـالِ الـفـيء والـخـراج — ونـحـوه والـصَّـرفُ فـي مـنـهـاجِ
(١٧٥) ونـصـبـه بـالـنـص والإجـمـاع — وقـهـره فـحـل عـن الـخـداعِ
(١٧٦) وشـرطـه الإسـلام والـحـرِّيـة — عـدالـة سـمـع مـع الـدَّرِيَّـةِ
(١٧٧) وأن يـكـون مـن قـريـش عـالـمـاً — مـكـلـفـاً ذا خـبـرةٍ وحـاكـمـاً
(١٧٨) وكـن مـطـيـعـاً أمـره فـيـمـا أمـر — مـا لـم يـكـن بـمـنـكـر فـيُـحْـتَـذر
(١٧٩) واعـلـم بـأن الأمـر والـنـهـي مَـعـا — فـرضـا كـفـايـةٍ عـلىٰ مـن قـد وعـا
(١٨٠) وإن يـكـن ذا واحـداً تـعـيـنـا — عـلـيـه لـكـن شـرطُـه أن يـأمـنـا

○ ○ ○ ○ ○

(١٧١) ولا غـنـىٰ لأمـة الإسـلام — فـي كـل عـصـر كـان عـن إمـام

(ولا غنىٰ) أي: ليس في الإمكان أن يستغني. **(لأمة الإسلام)** يعني: لأمة دين الإسلام، والأمة هي الجماعة أرسل إليهم رسول. **(في كل عصر)**: من الأعصار، وزمن من الأزمان. **(كان عن إمام)** أي: حصل، واستمر، ووجد عن إمام، وعن إمام متعلق بلا غنىٰ، بل هو فرض لازم، وواجب جازم.

(١٧٢) يـذب عـنـهـا كـل ذي جـحـود — ويـعـتـنـي بـالـغـزو والـحـدود

(يذب) أي: يمنع، ويدفع. **(عنها)** أي: عن ملة الإسلام. **(كل ذي جحود)** أي: كل ملك جبار، وملحد صاحب إنكار. **(ويعتني)** يعني: الإمام المنصوب. **(بالغزو)** أي: غزو الكفار، وقهر أهل البغي، والفجار.

(**والحدود**): جمع حد وهو المنع، وحدود الله تعالىٰ: محارمه، قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، والحدود هي: العقوبات المقدرة.

(١٧٣) وفعل معروف وترك نُكرِ ونصر مظلوم وقمع كُفْرِ

(**وفعل معروف**) أي: ويعتني الإمام أيضاً بفعل المعروف، والمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلىٰ الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهىٰ عنه من المحسنات، والمقبحات. (**وترك نكر**) معطوف علىٰ ما قبله أي: ويعتني أيضاً بالنهي عن كل منكر، وهو ضد معروف، فكل ما قبحه الشرع، وحرمه، وكرهه فهو منكر. (**ونصر مظلوم**) أي: ويعتني الإمام بنصر المظلوم من ظالمه بأخذ حقه منه. (**وقمع كفر**) أي: ويقهر أهل الكفر؛ لأن ذلك من أجلّ المقاصد الشرعية، والمصالح الإسلامية.

(١٧٤) وأخذ مال الفيء والخراج ونحوه والصرف في منهاج

(**وأخذ مال الفيء**) أي: ويعتني الإمام أيضاً بأخذ مال الفيء، وأصل الفيء مصدر فاء يفيء فيئاً إذا رجع، ثم أطلق علىٰ المال الحاصل من جهاته المعينة لصرفه في شؤون المسلمين، والمراد من الفيء هنا؛ هو ما أُخذ من مال كافر بحق الكفر بلا قتال. (**والخراج**) يعني: ويأخذ الإمام من الناس القدر المقدر من خراج الأرض. (**ونحوه**) أي: نحو ما ذكر؛ كالمال الذي تركه الكفار فزعاً وهربوا، وبذلوه فزعاً منا في الهدنة وغيرها. (**والصرف**) أي: ويعتني الإمام بصرف ذلك المال الحاصل من الفيء والخراج، وغيره. (**في منهاج**) أي: طريق وجهة مصرفه المعينة له شرعاً، فيصرف في مصالح أهل الإسلام. وكل ما ذكر من إقامة الحدود، وسد الثغور، وحفظ بيضة الإسلام؛ واجب، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به؛ فهو واجب، فلهذا قلنا: ولا غنىٰ لملة الإسلام عن إقامة إمام، فنصبه فرض كفاية؛ إذ في نصبه جلب منافع لا تحصىٰ، ودفع مضار لا تستقصىٰ.

(١٧٥) ونَصبه بالنص والإجماع وقهره فحل عن الخداع

(**ونصبه**) أي: ويثبت نصب الإمام. (**بالنص**): كما عهد أبو بكر الصديق بالخلافة إلىٰ عمر الفاروق رضي الله عنهما. (**والإجماع**): وثبت أيضاً بالإجماع من أهل الحل والعقد من المسلمين كإمامة الصديق الأعظم أبي بكر الصديق رضي الله عنه. (**وقهره**): ويثبت نصب الإمام بقهره الناس بسيفه لمبايعته، لما في الخروج

علىٰ هذا الإمام من شق عصىٰ المسلمين، وإراقة دمائهم، وذهاب أموالهم. وقد خرج عبد الملك بن مروان علىٰ ابن الزبير ﷺ فقتله، واستولىٰ علىٰ البلاد، وأهلها حتىٰ بايعوه طوعاً، وكرهاً، ودعوه إماماً. **(فحل)**: أمر إرشاد، أي: أبعد. **(عن الخداع)** أي: اترك مخادعة أهل البدع، وتزويق ما يظهرون من جواز الخروج علىٰ الإمام، وعن طاعته.

(١٧٦) وشرطه الإسلام والحرّية عدالة سمع مع الدريّة

(وشرطه) أي: ويشترط في الإمام. **(الإسلام)**: لأن غير المسلم لا يكون له علىٰ المسلمين سبيل. **(والحرية)**: لأن الرقيق عليه الولاية، فلا يكون والياً علىٰ غيره فضلاً عن عامة المسلمين، وخاصتهم. **(عدالة)**: لاشتراط ذلك في ولاية القضاء. **(سمع)** أي: أن يكون سميعاً بصيراً ناطقاً. **(مع الدريّة)**: تأنيث من الدّراية، وهي العلم، والخبرة، وأريد به اعتبار كونه عالماً بالأحكام المتعلقة بالسياسة، والحروب، وأحوال الناس.

(١٧٧) وأن يكون من قريش عالماً مكلفاً ذا خبرة وحاكماً

(وأن يكون) يعني: الإمام. **(من قريش)**: وسموا قريشاً؛ لأنهم كانوا حريصين علىٰ الكسب، والجمع قال الجوهري: (القرش هو: الكسب، والجمع)، وقيل: سموا باسم سمك القرش، وتصغيره قريش، وإنما اشترط كونه من قريش لقوله ﷺ: «الأئمة من قريش» رواه أحمد، والطبراني. **(عالماً)** أي: يشترط كونه عالماً بالأحكام الشرعية لاحتياجه إلىٰ مراعاتها في أمره، ونهيه. **(مكلفاً)** أي: بالغاً عاقلاً. **(ذا خبرة)** أي: بتدبير الأمور في البلاد، والعباد. **(وحاكماً)** أي: وأن يكون حاكماً قادراً علىٰ إيصال الحق إلىٰ مستحقه، وكف ظلم المعتدي، وقمع أهل الافتراء، والاعتداء، وقادراً علىٰ إقامة الحدود، وقمع أهل الضلال، والجحود، لا تأخذه رأفة في إقامة الحدود، والذب عن الأمة.

(١٧٨) وكن مطيعاً أمره فيما أمر ما لم يكن بمنكر فيُحْتَذر

(وكن مطيعاً) أي: فإذا عقدت له الإمامة، فصار إماماً للمسلمين، فكن مطيعاً له أنت، وسائر الرعية. **(أمره)** أي: ما يصدر من أمر. **(فيما أمر)** أي: في شيء أمرك. **(ما لم يكن بمنكر)** أي: ما لم يكن الأمر الذي أمرك به منكر. **(فيحتذر)** أي: فيخالف فيما أمر بمنكر، ويجتنب، فلا تجب طاعته في

المعصية، بل تحرم؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قال ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولىٰ رجلاً، وهو يجد أصلح للمسلمين منه؛ فقد خان الله، ورسوله، والمؤمنين».

* فصل *

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١٧٩) واعلم بأن الأمر والنهي معا فرضا كفاية علىٰ من قد وعا

(واعلم): أيها الطالب لعلم أصول الدين. **(بأن الأمر)** أي: بالمعروف. **(والنهي)**: أي عن المنكر. **(معا)**: كل واحد منهما. **(فرضا كفاية)** أي: علىٰ المسلمين، إن قام به البعض سقط عن الباقين. **(علىٰ من)** أي إنسان، أو الذي. **(قد وعا)** أي: حفظ حكمه، وعلمه، وذلك لأن إصلاح المعاش، والمعاد إنما هو بطاعة الله، ورسوله، وامتثال أوامره، والانتهاء عن زواجره، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١٨٠) وإن يكن ذا واحداً تعينا عليه لكن شرطه أن يأمنا

(وإن يكن ذا) أي: وإن كان الذي علم بالمنكر، وتحققه، وشاهده، وهو عارف بما ينكر. **(واحداً)** أي: مفرداً، أو كانوا عدداً لا يحصل المقصود إلا بهم جميعاً. **(تعينا)** أي: أصبح[1] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حقه متعيناً أي: فرض عين. **(عليه)**: أو عليهم. **(لكن شرطه)** أي: شرط افتراضه علىٰ الجماعة، أو الواحد سواء كانا فرض كفاية، أو فرض عين. **(أن يأمنا)** أي: أن يأمن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر علىٰ نفسه، وماله، ولم يخفْ سوطاً، ولا دماً ولا أذىٰ، ولا فتنة تزيد علىٰ المنكر.

* * * * *

---

(١) هذه من العبارات التي وضعتها لغرض مزيد بيان وهي لا تخرج عن معنى كلام المؤلف.

الورد التاسع عشر

(١٨١) فـاصْبـر وزِلْ بـالـيـد والـلـسـان   لـمُـنْـكَـر واحـذَرْ مـن الـنـقـصـانِ
(١٨٢) ومـن نـهـىٰ عـمـا لـه قـد ارتـكَـب   فقد أتىٰ مما به يقضي العَجَب
(١٨٣) فـلـو بـدا بـنـفـسـه فَـذادَهـا   عـن غَـيِّـهـا لـكـان قـد أفـادَهـا
(١٨٤) مـدارك الـعـلـوم فـي الـعَـيـان   مـحـصـورةٌ فـي الـحـدِّ والـبـرهـانِ
(١٨٥) وقال قوم عند أصحاب النَّظَر   حِسٌّ وإخبارٌ صحيحٌ والنَّظَر
(١٨٦) فـالـحَـدُّ وهـو أصـل كـل عـلـم   وصف محيط كاشف فافتَهِم
(١٨٧) وشـرطُـهُ طـردٌ وعـكـسٌ وهـو إن   أنبا عن الذوات فالتام استَبِن
(١٨٨) وإن يكن بالجنس ثم الخاصَّة   فذاك رسمٌ فافهم المُحاصَّة
(١٨٩) وكـل مـعـلـوم بـحـس وحِجـىٰ   فنُكْرُه جهلٌ قبيحٌ في الهجا
(١٩٠) فـإن يـقـم بـنـفـسـه فـجـوهـرُ   أو لا فـذاكَ عـرضٌ مـفـتَـقِـرُ

○ ○ ○ ○ ○

(١٨١) فـاصـبـر وزل بـالـيـد والـلـسـان   لـمـنـكـر واحـذر مـن الـنـقـصـان

(فاصبر) أي: اصبر علىٰ الأذىٰ ممن تأمره، وتنهاه، ولا تغضب لنفسك بل لله. **(وزل)** من الإزالة أي: زل المنكر. **(باليد)**: وهو أعلىٰ درجات الإنكار؛ كإراقة الخمر، وكسر أواني الذهب، والفضة. **(واللسان)** أي: وغَيِّر المنكر باللسان، حيث لم تستطع تغييره باليد بأن تعظه وتذكره بالله، وأليم عقابه، وتوبخه، وتعنّفه مع لين، وإغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال، وقد يحصل المقصود في بعض المحال، بالرفق والسياسة بأزيد وأتم مما يحصل بالعنف والرياسة. **(لمنكر)**: متعلق بزل أي: زل المنكر. **(واحذر)** أي: احذر من النزول عن أعلىٰ المراتب، حيث قدرت علىٰ أن تغيّر المنكر بيدك إلىٰ

أوسطها، وهو الإنكار باللسان، إلا مع العجز عن ذلك. **(من النقصان)** حيث رویٰ مسلم في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ رَأىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإيمانِ»[1].

(١٨٢) ومن نهىٰ عما له قد ارتكب فقد أتىٰ مما به يقضي العجب

(ومن): وأي إنسان. **(نهىٰ)**: أي: نهىٰ الناس. **(عما له قد ارتكب)** يعني: عن الشيء الذي ارتكب، فخالف قوله، وعمله. **(فقد أتىٰ)** أي: فقد فعل. **(مما به يقضي العجب)** أي: الشيء الذي يتعجب منه العقلاء، وأهل العلم، والحزم، أي: أنهم يحكمون، ويقطعون **بالعجب**، وقد ورد التحذير من مخالفة العمل للقول.

فقد رویٰ البخاري من حديث أسامة بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُؤْتىٰ بالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَيُلْقىٰ في النّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ فيْها كَما يَدُورُ الْحِمارُ في الرَّحىٰ فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النّارِ فَيَقُولُونَ: يا فُلانُ! ما لَكَ، أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بالْمَعْرُوفِ وَتَنْهىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلىٰ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»[2] ومعنىٰ: فتندلق أقتاب بطنه أي: فتخرج أمعاء بطنه.

(١٨٣) فلو بدا بنفسه فذادها عن غيها لكان قد أفادها

(فلو بدا) يعني: فلو بدأ الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر. **(بنفسه)**: متعلق ببدا. **(فذادها)** أي: منعها وردها. **(عن غيها)** أي: عن ضلالها. **(لكان)**: ببدايته بإرشاد نفسه، وردها عما هي فيه من ارتكاب مهاوي الهوىٰ، والضلال، والغي، والوبال. **(قد أفادها)** يعني: أفادها بالنجاة، والسلامة، والرشد، والاستقامة؛ فإن الناصح الشفيق، والمرشد

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» بلفظه برقم ٧٠ في كتاب الإيمان.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الزهد والرقائق بألفاظ مختلفة برقم ٥٣٠٥.

الرفيق، يبدأ في إرشاده من الأمم بالأهم فالأهم، والأقرب فالأقرب من ذوي الرحم، ولا أهم، ولا أقرب إليه من نفسه التي هي بين جنبيه. قال تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف].

(١٨٤) مدارك العلوم في العيان محصورة في الحدّ والبرهان

(مدارك العلوم): المدارك جمع مدرك، وأدرك الشيء أحاط به، والمراد المدرك بالعقول. **(في العيان)** أي: المشاهدة. **(محصورة)** أي: مقصورة. **(في الحدّ)**: الحدّ لغة المنع، ويأتي تعريفه قريباً عند المتكلمين. **(والبرهان)** أي: الحجة، والدليل.

(١٨٥) وقال قوم عند أصحاب النظر حسّ وإخبار صحيح والنظر

(وقال قوم) أي: في تعداد مدارك العلم. **(عند أصحاب النظر)** يعني: المتكلمين، والمناطقة. **(حسّ)** أي: ما يدرك بأحد الحواس الخمس، وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. **(وإخبار صحيح)**: الخبر الصحيح هو المطابق للواقع. **(والنظر)** أي: والفكر. قال ابن قاضي الجبل: والنظر عرفاً: الفكر المطلوب به علم، أو ظن فينتقل من أمور حاصلة ذهناً إلىٰ أمور مستحصلة. والحاصل أن أسباب العلم ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، والعقل.

(١٨٦) فالحد وهو أصل كل علم وصفٌ محيطٌ كاشفٌ فافتَهِم

(فالحد): سمي التعريف حداً؛ لمنعه الداخل فيه من الخروج عنه، والخارج عنه من الدخول فيه. **(وهو)** أي: الحدّ. **(أصل كل علم)**: جملة معترضة بين المبتدأ الذي هو الحد، وخبره الذي هو وصف محيط.. إلخ، وإنما كان أصلاً للعلوم؛ لأن من لا يحيط به علماً لا ينتفع بما عنده. **(وصف محيط)**: هذا تعريف الحد اصطلاحاً، ومعناه: أن الحد هو الوصف المحيط بمعنىٰ الشيء. **(كاشف)** أي: مميز للمحدود عن غيره. **(فافتهم)**: أمر لقبول الفهم، والفهم إدراك معنىٰ الكلام بسرعة، أو ببطء.

(١٨٧) **وشـرطـه طـردٌ وعـكـسٌ وهـو إن أنبـا عـن الـذَّواتِ فـالـتّـام اسـتَبِـن**

(وشرطه) أي: شرط كون الحدّ صحيحاً، والشرط لغة العلامة، وعرفاً ما يعتبر للحكم، وهو ما يلزم من انتفائه انتفاء الحكم، فلا يوجد المشروط مع عدم شرطه، ولا يلزم من وجود الشرط؛ وجود المشروط، وهو عقلي، ولغوي، وشرعي، فالعقل كالحياة للعلم، واللغوي كقوله: إن دخلت الدار فأنت طالق، والشرعي كالطهارة للصلاة. **(طرد)**: خبر المبتدأ الذي هو شرطه، وهو المانع الذي كلما وجد الحد، وجد المحدود. **(وعكس)**: وهو الجامع الذي كلما وجد المحدود؛ وجد الحد، فهذا عكس الاطراد، ويلزم من ذلك أنه كلما انتفىٰ الحد انتفىٰ المحدود. **(وهو)** أي: الحد. **(إن أنبا)** أي: إن دلّ، وكشف. **(عن الذوات)** أي: ذاتيات المحدود الكلية المركبة كتعريفك للإنسان بأنه: حيوان ناطق. **(فالتام)** أي: فهو الحد التام، وهو الأصل؛ لأن ذات الشيء لا يكون له حدان. **(استبن)** أي: اطلب البيان، والكشف عن حقيقة الحد.

(١٨٨) **وإن يكن بالجنس ثم الخاصة فـذاك رسم فـافـهـم الـمـحـاصـة**

(وإن يكن) أي: الحد. **(بالجنس)** أي: من الجنس القريب. **(ثم الخاصة)** مثل: ضاحك، بالنسبة للإنسان. **(فذاك)** يعني: المركب من جنس قريب، وخاصة. **(رسم)** أي: رسم تام؛ فإن الضاحك عرض في الفعل مفارق لا بالقوة، وسمي خاص؛ لاختصاصه بحقيقة واحدة بالقوة، أو الفعل بالنسبة إلىٰ الإنسان؛ لأن الضحك بالقوة لازم لماهية الإنسان، مختص بها، وبالعقل مفارق لها مختص بها، وتعريف الخاصة هي: كلية تقال علىٰ ما تحت حقيقة واحدة فقط، قولاً عرضياً. **(فافهم المحاصة)** أي: فافهم المقاسمة، والمراد افهم ما بين الحقيقي التام؛ كالحيوان الناطق بالنسبة إلىٰ الإنسان، والحقيقي الناقص، وله صورتان: الأولىٰ: أن يكون بفصل قريب فقط؛ كالناطق بالنسبة إلىٰ الإنسان، أو بالفصل مع جنس بعيد؛ كالجسم الناطق بالنسبة إلىٰ الإنسان، وكذا افهم الرسم الحقيقي التام، والرسم الناقص علىٰ ما ذكرنا. والجنس كلي مقول علىٰ كثيرين، مختلفين بالحقائق في جواب ما هو؟ كالحيوان بالنسبة إلىٰ أنواعه؛ نحو الإنسان، والفرس. والنوع كلي مقول علىٰ كثيرين مختلفين بالعدد

دون الحقيقة في جواب ما هو؛ كالإنسان بالنسبة إلىٰ زيد، وعمرو، ونحوهما من أفراده. والفصل غير مقول في جواب ما هو، بل في جواب أي شيء هو في ذاته؟ وهو الذي يميز الشيء عما يشاركه في الجنس، كالناطق بالنسبة إلىٰ الإنسان. والحد اللفظي ما كان بلفظ مرادف أظهر عند السائل من المسؤول عنه؛ كما لو قال قائل: ما الخنريس؟ فيقال: هو الخمر.

(١٨٩) وكل معلوم بحس وحِجىٰ فنُكْرُه جهلٌ قبيح في الهجا

(وكل معلوم بحس) أي: وكل معلوم بحس من الحواس الخمس الظاهرة. **(وحجىٰ)** أي: وكذلك ما يدرك بالعقل. **(فنكره)** أي: نكره وإنكاره ورده بعدم الوثوق به. **(جهل قبيح)** متناه في القبح. **(في الهجا)** أي: في الشكل والمثل، يقال: هذا علىٰ هجا هذا أي علىٰ شكله. والمعنىٰ أن المدركات الحسية، وكذلك المدركات العقلية؛ إنكار حقائقها دليل علىٰ جهل فظيع عند كل العقلاء، وعند المجيدين في التبحر، والكشف عن حقائق الأشياء.

(١٩٠) فإن يقم بنفسه فجوهر أو لا فذاك عرضٌ مفتقرُ

(فإن يقم): الشيء المعلوم. **(بنفسه)** أي: بذاته، ومعنىٰ القيام بذاته عند المتكلمين، هو أن يتحيز بنفسه، غير تابع تحيزه لتحيز شيء آخر. **(فجوهر)**: والجوهر هو العين الذي لا يقبل الانقسام؛ لا فعلاً، ولا وهماً، ولا فرضاً، وهو الجزء الذي لا يتجزأ. **(أو لا)**: يعني أو أن ذلك المعلوم لا يقوم بنفسه. **(فذاك)** أي: الذي لا يقوم بنفسه بل لا بد أن يكون قائماً بغيره، تابعاً له في التحيز. (عرض مفتقر) أي: فذلك هو عرض، مفتقر إلىٰ محل يقومه، فوجود العرض في الموضوع هو أن وجوده في نفسه هو وجوده في الموضوع.

* * * * *

الورد العشرون

(١٩١) والجسم ما أُلِّف من جزأين	فصاعدا فاترك حديث المَيْنِ
(١٩٢) ومستحيل الذات غيرُ ممكنِ	وضده ما جاز فاسمع زَكِنِي
(١٩٣) والضد والخلاف والنقيضُ	والمثل والغَيْرانُ مستفيضُ
(١٩٤) وكل هذا علمه محققُ	فلم نطل به ولم ننمق
(١٩٥) والحمد للّه على التوفيقِ	لمنهج الحقِّ على التحقيق
(١٩٦) مسلِّماً لمقتضى الحديث	والنَصِّ في القديم والحديثِ
(١٩٧) لا أعتني بغير قول السلفِ	موافقاً أئمَّتي وسَلَفِي
(١٩٨) ولست في قولي بذا مقلدا	إلا النبيَّ المصطفى مبدِي الهُدى
(١٩٩) صلى عليه اللّه ما قطرٌ نَزَل	وما تَعالى ذِكْرُهُ من الأزَل
(٢٠٠) وما انجَلى بهديهِ الدَّيْجُور	وراقت الأوقاتُ والدهورُ

○ ○ ○ ○ ○

(١٩١) والجسم ما ألِّف من جزأين   فصاعدا فاترك حديث المين

(والجسم ما) أي: الجسم شيء. **(ألّف)** أي: رُكّب. **(من جزأين فصاعدا)** أي: وأكثر. **(فاترك حديث)** أي: اترك كلام. **(المين)** أي: الكذب، وأراد بهذا؛ الرد على من زعم أنه لا يتركب من أقل من ثلاثة أجزاء لتحقق الأبعاد الثلاثة أعني: الطول، والعرض، والعمق.

(١٩٢) ومستحيل الذات غير ممكن   وضده ما جاز فاسمع زكني

(ومستحيل الذات غير ممكن) أي: أن المستحيل لذاته غير ممكن، ولا مقدور؛ إذ لو تعلقت به القدرة لصار ممكناً؛ لأنها لا تتعلق إلا بالممكنات. (وضده) أي: ضد المستحيل. **(ما جاز)** أي: الذي جاز

وجوده، وعدمه. **(فاسمع زكني)** أي: فاسمع علمي، وفهمي.

(١٩٣) والضد والخلاف والنقيض   والمثل والغيران مستفيض

(والضد) الضدان هما ما امتنع اجتماعهما في محل واحد في زمن واحد؛ كالسواد والبياض، والحركة والسكون، والاجتماع والافتراق؛ إذ الشيء الواحد لا يكون أسود أبيض في زمن واحد، ولا يكون ساكناً متحركاً في زمن واحد، ويمكن ارتفاع الضدين مع بقاء المحل لا أسود، ولا أبيض. **(والخلاف)** أي: الخلافان يجتمعان، ويرتفعان؛ كالحركة، والبياض في الجسم الواحد. **(والنقيض)** أي: والنقيضان، لا يجتمعان، ولا يرتفعان؛ كالوجود والعدم المضافين إلىٰ معيّن واحد. **(والمثل)** أي: والمثلان، وهما ما قام أحدهما مقام الآخر، وسد مسده، وعمل عمله، وأما المتشابهان فهما اللذان يتقاربان إما في الصورة، وإما في استحقاق المعنىٰ المجوز عليهما، أو في السبب الذي تعلق به وجودهما. والمتشابهان من وجه قد يختلفان من آخر، والمثلان لا يختلفان من وجه. والمختلفان قد يختلفان من وجه، ويشتبهان من وجه آخر. **(والغيران)** هما المختلفان وقيل هما الموجودان اللذان يمكن أن يقارن أحدهما الآخر بوجه. **(مستفيض)** أي: استفاضة ظاهرة لا تخفىٰ علىٰ أحد له اعتناء بتحصيل هذه العلوم العقلية.

(١٩٤) وكل هذا علمه محقق   فلم نُطِل به ولم نُنَمِّقُ

(وكل هذا علمه محقق) أي: كل هذا المذكور، وأضعافه مما لم يذكر؛ علمه محقق مشهور عند أرباب الفن. **(فلم نطل به)** أي: لم نتوسع في ذكره. **(ولم ننمق)** التنميق هو التحسين، والمعنىٰ: أننا لم نطل في التحسين إذ المقصود هنا هو ذكر أمهات مسائل العقائد السلفية.

(١٩٥) والحمد للَّه علىٰ التوفيق   لمنهج الحق علىٰ التحقيق

(والحمد للَّه علىٰ التوفيق) وهذا حمد في مقابلة نعمة التأهيل لهذا الفضل الجزيل، والمشرب الصافي من ينبوع التنزيل من غير إلحاد، ولا تأويل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، والتوفيق تسهيل سبيل الخير، والطاعة، قال الإمام ابن القيم في «مدارج السالكين»: قد أجمع العارفون باللَّه أن التوفيق أن لا يكلك اللَّه تعالىٰ إلىٰ نفسك، والخذلان ضده، وهو أن يخلي بينك،

وبينها، فالعبيد متقلبون بين توفيقه، وخذلانه، بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا، فيطيع مولاه، ويرضيه، ويذكره، ويشكره بتوفيقه، ثم يعصيه، ويخالفه، ويسخطه، ويغفل عنه بخذلانه له، فهو دائر بين توفيقه، وخذلانه، فإن وفقه فبفضله، ورحمته، وإن خذله فبعدله، وحكمته، وهو سبحانه المحمود في هذا، وهذا له أتم حمد، وأكمله، لم يمنع العبد شيئاً هو له، وإنما منعه ما هو مجرد فضله، وعطائه، وهو أعلم حيث يضعه، وأين يجعله. (**لمنهج الحق علىٰ التحقيق**) متعلق بالتوفيق، والمنهج هو: الطريق الواضح كالنهج، والمنهاج، والحق هو: الحكم المطابق للواقع، ويقابله الباطل. والتحقيق هو: إيقاع الأشياء في محالها، وردها إلىٰ حقائقها، يقال حقق الطريق: ركب حاقته، وحقق الأمر: تيقنه.

(١٩٦) مسلّماً لمقتضىٰ الحديث والنص في القديم والحديث

(**مسلماً**) حال بمعنىٰ حال كوني مسلّماً. (**لمقتضىٰ الحديث**) أي: لما يقتضيه الحديث الصحيح النبوي. (**والنص**) أي: النص الصريح القرآني، وقدم الحديث لمراعاة القافية. (**في القديم والحديث**) يحتمل معنيين أحدهما: أن هذا عقيدتي، واعتمادي من أول زمان وجود إدراك فهمي إلىٰ الآن، فقديم زمني، وحديثه علىٰ ذلك. الثاني: أن القديم المراد منه ذات اللَّه تعالىٰ، وصفاته، والحديث المراد منه هنا الأحكام الفقهية المتعلقة بالعبادات، ونحوها من المعاملات، والجنايات، والحدود، والكفارات، وغيرها.

(١٩٧) لا أعتني بغير قول السلف موافقاً أئمتي وسلفي

(**لا أعتني**) أي: لا أهتم في أصل نظم عقيدتي هذه بقول قائل، وإن جل أمره، وشاع ذكره. (**بغير قول السلف**) أي: لا أعول، ولا يهمني، ولا يعنيني في نظمي عقيدتي هذه إلاَّ قول السلف الصالح، والرعيل الأول الفاتح. (**موافقاً أئمتي**) يعني أئمة أصحاب الحديث. (**وسلفي**) أي: وسلفي في ذلك كل عالم همام معتبر قد سبروا الأخبار، ودونوا الآثار.

(١٩٨) ولست في قولي بذا مقلدا إلا النبي المصطفىٰ مبدي الهدىٰ

(**ولست في قولي بذا**) أي: بما أشرت إليه من اقتفاء الأئمة، والسلف الصالح. (**مقلدا**) أي: مقلداً لهم في اعتقادي من غير نظر في الدليل، بل

نظرت كما نظروا، وسبرت كما سبروا، وخضت في علوم النظر، والكلام، وعكفت علىٰ الآثار غارف من بحرها ما يطفئ حرارات الأهواء. **(إلا النبي المصطفىٰ)** من سائر البشر صلىٰ اللّٰه عليه وسلم. **(مبدي الهدىٰ)** أي: مظهر الهداية، ومرشد العالم إلىٰ سلوك المسالك الناجحة.

(١٩٩) صلىٰ عليه اللّٰه ما قطرٌ نَزَل   وما تعانىٰ ذِكْرُهُ من الأزل

(صلىٰ عليه اللّٰه ما قطر نزل) أي: صلىٰ اللّٰه عليه مدة دوام نزول الأمطار، والقطر هو الماء. **(وما تعانىٰ)** من العناية. **(ذكره من الأزل)** أي: اعتنىٰ المعتنون بذكره في الأعصار الخالية، والأطوار البالية، والقرون الفانية، والأمم الماضية، فإنه لم يخل زمان من ذكره.

(٢٠٠) وما انجلىٰ بهديه الدَّيْجَورَ   وراقت الأوقاتُ والدهورَ

(وما انجلىٰ بهديه) أي: وصلىٰ اللّٰه عليه أيضاً ما تفرق، وزال بهديه الناصع، ونور شرعه المشرق. **(الديجور)** أي: الظلام، أي مدة انجلاء ظلام الشرك، وسواد الإفك، وغبار البدع، والابتكار بمنار هديه، ونور شرعه. **(وراقت)** أي: وصفت. **(الأوقات)** جمع وقت وهو المقدار من الدهر. **(والدهور)** جمع دهر، وهو الزمان الطويل.

* * * * *

الورد الحادي والعشرون

(٢٠١) وآلـه وصـحـبـه أهـل الـوَفـا   مـعـادن الـتـقـوىٰ ويـنـبـوعَ الـصَّـفـا
(٢٠٢) وتـابـعٍ وتـابـعٍ لـلـتـابـع   خير الورىٰ حقاً بنصِّ الشارعِ
(٢٠٣) ورحـمـةُ الـلَّـه مع الـرضـوانِ   والـبـر والـتـكـريـم والإحـسـانِ
(٢٠٤) تُهْدىٰ مع التبجيل والإنعام   مِنِّي لـمـثـوىٰ عـصـمـةِ الإسلام
(٢٠٥) أئـمـة الـديـن هـداةِ الأمـة   أهـل الـتُّـقىٰ من سـائِـرِ الأئـمَّـةِ
(٢٠٦) لا سـيـمـا أحـمـد، والـنـعـمـانِ   ومـالِـكٍ مـحـمـد الـصِّـنْـوانِ
(٢٠٧) من لازم لـكـلِّ أربـاب الـعـمـل   تقليدَ حبرٍ مِنْهُم فاسمع تَخُلْ
(٢٠٨) ومن نحا لِسُبْلِهِم من الورىٰ   ما دارت الأفلاك أو نجمٌ سَرىٰ
(٢٠٩) هـديـةٌ مِـنِّـي لأربـاب الـسَّـلَـف   مُجانِباً للخوض من أهل الخلف
(٢١٠) خـذهـا هُـدِيْـتَ واقـتـف نـظـامـي   تَـفُـزْ بـمـا أَمَّـلْـتُ والـسَّـلامِ

○ ○ ○ ○ ○

وآلـه وصـحـبـه أهـل الـوفـا   مـعـادن الـتـقـوىٰ ويـنـبـوع الـصـفـا

(وآله) أي: وصلىٰ اللَّه علىٰ آله الذين هم أتباعه علىٰ دينه. **(وصحبه)** أي: أصحاب النبي ﷺ. **(أهل الوفاء)** إشارة إلىٰ أنهم فعلوا ما أمروا ووفوا بما عاهدوا اللَّه ورسوله عليه، من بذل نفوسهم النفيسة، وكل نفيس في نصرة الدين القويم. **(معادن التقوىٰ)** المعادن جمع معدن، والتقوىٰ التحرز بطاعة اللَّه تعالىٰ عن مخالفته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، جاء في «سنن الترمذي»، وابن ماجه من حديث عبد لله بن يزيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُون مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتّىٰ يَدَعَ ما لا بَأْسَ به حَذَراً

مِمّا به بَأْسٌ»[1].

(وينبوع الصفا): الينبوع هو عين الماء أو الجدول الكثير الماء، والصفا ضد الكدر، فالصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين هم ينبوع كل خالص من الكدر، نقي من غبار البدع، وقذىٰ الفكر.

(٢٠٢) وتـابـع وتـابـع لـلـتـابـع خير الورىٰ حقاً بنص الشارع

(وتابع) أي: وعلىٰ تابع لهم بإحسان. **(وتابع للتابع)** أي: علىٰ نهج الاستقامة، والإتقان. **(خير الورىٰ)** أي: أفضل الخلق من هذه الأمة الإسلامية. **(حقاً بنص الشارع)** قال ﷺ:

«خَيْرُ النّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[2] رواه البخاري، ومسلم.

(٢٠٣) ورحـمـة الـلّـه مـع الـرضـوان والـبـر والـتـكـريـم والإحـسـان

(ورحمة الله): تعالىٰ سبحانه. **(مع الرضوان)**: منه سبحانه. **(والبر)** والإحسان والشفقة. **(والتكريم)** أي: والتكريم لهم من فضله العميم، وكرمه الكريم. **(والإحسان)** أي: الإحسان إليهم من الله؛ لأنهم أحسنوا عملاً، وأخلصوا قولاً وفعلاً، فيجازيهم بالإحسان لقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمٰن].

(٢٠٤) تُـهـدىٰ مـع الـتـبـجـيـل والإنـعـام مـنـي لـمـثـوىٰ عـصـمـة الإسـلام

(تُهدىٰ) أي: أن هذه الأمور التي هي الرحمة، والرضوان، والبر، والتكريم، والإحسان. **(مع التبجيل)** أي: التعظيم، قال في «القاموس»: (بجّله تبجيلاً: عظّمه). وفي حديث أنه ﷺ أتىٰ القبور فقال: «السلام عليكم أصبتم خيراً بجيلاً» أي: واسعاً كثيراً. **(والإنعام)** أي: من الملك المهيمن المنعم السلام. **(مني)** أي: بأن أسأل الله تبارك وتعالىٰ، أن يفعل جميع ذلك

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» بمعناه في كتاب صفة القيامة برقم ٢٣٧٥ برواية عطية السعدي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب الشهادات عن عبد الله ﷺ برقم ٢٥٠٩.

بمنّه، وكرمه، وحلمه. **(لمثوىٰ)** أي: لمنزل، ولمقام، وهو مجاز؛ لأن المراد الثاوين فأطلق المحل، وأراد الحال. **(عصمة الإسلام)** أي: عصمة أهل الإسلام من البدع المضلة، والآراء المخلة، وأهل الزيغ، والإلحاد، والإفك، والعناد، والعصمة هي: المنعة، والعاصم هو: المانع الحامي، والاعتصام هو: الامتساك بالشيء افتعال منه، وفي شعر أبي طالب في حق النبي ﷺ:

(ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل) أي: يمنعهم من الضياع، والحاجة.

(٢٠٥) أئمة الدين هداة الأمة   أهل التقىٰ من سائر الأئمة

(أئمة الدين) أي: أئمة أهل الدين المتين الذي هو الإسلام دين النبي محمد عليه الصلاة والسلام. **(هداة الأمة)** أي: الدالين الأمة علىٰ نهج الرسول، والكاشفين لهم عن معاني الكتاب المنزل، والأحاديث التي عليها المعول، والذابين زيغ الزائغين، وبدع المبتدعين، وضلال المضلين، وإلحاد الملحدين. **(أهل التقىٰ من سائر الأئمة)** أي: هم أهل التقىٰ من جميع الأئمة المقتدىٰ بأقوالهم، وأفعالهم؛ كالأئمة الأربعة الآتي ذكرهم: وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن نعيم، وإسحاق بن راهويه، وأبي ثور، ويحيىٰ بن معين، وابن أبي ذئب، والبخاري، ومسلم، وعبد الله بن المبارك، والليث بن سعد، وربيعة بن أبي عبد الرحمٰن، وعبد الملك بن جريج، وداود وغيرهم، فإنهم وإن تباينت أقوالهم، واختلفت آراؤهم من جهة الفروع الفقهية فالجميع سلفية أثرية، ولهم في السنة التصانيف النافعة، والتآليف الناصعة كابن سعيد الدارمي، وأبي بكر بن خزيمة، وأشباههم.

(٢٠٦) لا سيما أحمد والنعمان   ومالك محمد الصنوان

(لا سيما): هذه الكلمة مبنية علىٰ دخول ما بعدها في ما قبلها بالأولىٰ فكل ما نسب لمن قبلها من الثناء والدعاء، فمن بعدها كذلك، وأولىٰ بذلك. **(أحمد)**: هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. **(والنعمان)**: هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي إمام أهل العراق، وفقيههم. **(ومالك)**: هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري المدني شيخ الأئمة وإمام دار الهجرة. (محمد): هو الإمام

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف المطلبي الشافعي ﵁. **(الصنوان)** أي: القرابة للنبي ﷺ.

(٢٠٧) من لازم لكل أرباب العمل تقليد حبر منهم فاسمع تخل

(من) أي: الذي هم، وهو مبتدأ. **(لازم)** خبر من، أي: فرضاً لازم لا انفكاك عنه. **(لكل أرباب)** أي: لكل واحد من أصحاب. **(العمل)** يعني: العمل الصالح ممن ليس فيه أهلية الاجتهاد المطلق. **(تقليد حبر منهم)** أي: تقليد أحد الأئمة الأربعة، والحبر هو العالم المتقن، والتقليد لغة: وضع الشيء في العنق محيطاً به، وذلك الشيء يسمىٰ قلادة، وجمعها قلائد وعرفاً: أخذ مذهب الغير مع اعتقاد صحته، واتباعه عليه بلا معرفة دليله فالرجوع إلىٰ قول النبي ﷺ، وإلىٰ المفتي، وإلىٰ الإجماع أو رجوع القاضي إلىٰ العدول ليس بتقليد. **(فاسمع تخل)** أي: فاسمع نظامي، وما أشرت إليه من لزوم كل مكلف لم يبلغ رتبة استخراج الأحكام من معادنها، ولا استنباط الأدلة من مكانها التقليد، والاقتداء بأحد أئمة الهدىٰ، ومصابيح الدجىٰ، وتخل يعني تظن، وتعلم؛ لأن الإنسان قبل سماعه يكون خالي الذهن، فإن سمع الكلام، وتأمل ما فيه من الأحكام علم، أو ظن لزوم ذلك علىٰ ذوي الأفهام، ولفظ المثل: (من يسمع يخل) أي: من يسمع له خير يحدث له ظن فحذف المفعولين اقتصاراً لإفادة تجدد الفعل أو حدوثه.

(٢٠٨) ومن نحا لسبلهم من الورىٰ ما دارت الأفلاك أو نجم سرىٰ

(و) أي: ورحمة الله تعالىٰ مع البر، والإحسان، والعفو، والغفران تهدىٰ لـ (من) أي: الذي. **(نحا لسبلهم)** يعني: قصد طريقهم. **(من الورىٰ)**: من الخلق. **(ما دارت)** أي: مدة دوران. **(الأفلاك)**: جمع فلك. **(أو نجم سرىٰ)** أي: وتهدىٰ لهم، ولمتبوعهم الرحمة، والرضوان، والبر، والإحسان، والإنعام مدة دوام سرىٰ النجوم علىٰ الدوام.

(٢٠٩) هدية مني لأرباب السلف مجانباً للخوض من أهل الخلف

(هدية) أي: أن هذه المنظومة في العقيدة الأثرية السلفية مهداة. **(مني**

لأرباب السلف) أي: مهداة مني لأصحاب عقيدة السلف، وأهل الأثر. **(مجانباً)** أي: حال كوني مجانباً في أصل نظمي لهذه العقيدة. **(للخوض)** أي: للدخول في التأويل، والتعميق في صرف آيات التنزيل عن مقتضاها الثابت، ومعناها الظاهر المؤيد بالسنة السنية، والأحاديث النبوية، والأخبار السلفية إلىٰ غير محاملها من غير دليل نبوي، ولا إذن شرعي. **(من أهل الخلف)** أي: من أهل مذهب الخلف المتأخرين.

(٢١٠) خذها هُديتَ واقتفي نظامي تَفُز بما أملتُ والسلام

(خذها) أي: خذ هذه العقيدة السلفية. **(هُديت)** أي: هداك الله **(واقتفي)** أي: واتبع. **(نظامي)** أي: نظمي في هذه العقيدة التي هي وفية بأمهات مسائل عقائد السلف. **(تفز)** أي: تظفر. **(بما أملتُ)** أي: بالذي أملت من الأمل، وهو الرجاء. **(والسلام)** أي: وتظفر أيضاً بالسلام الذي هو الأمان من التخليط الجدلي، والتخبيط الكلامي، قال العلماء: **السلام** من أسماء الله تعالىٰ.

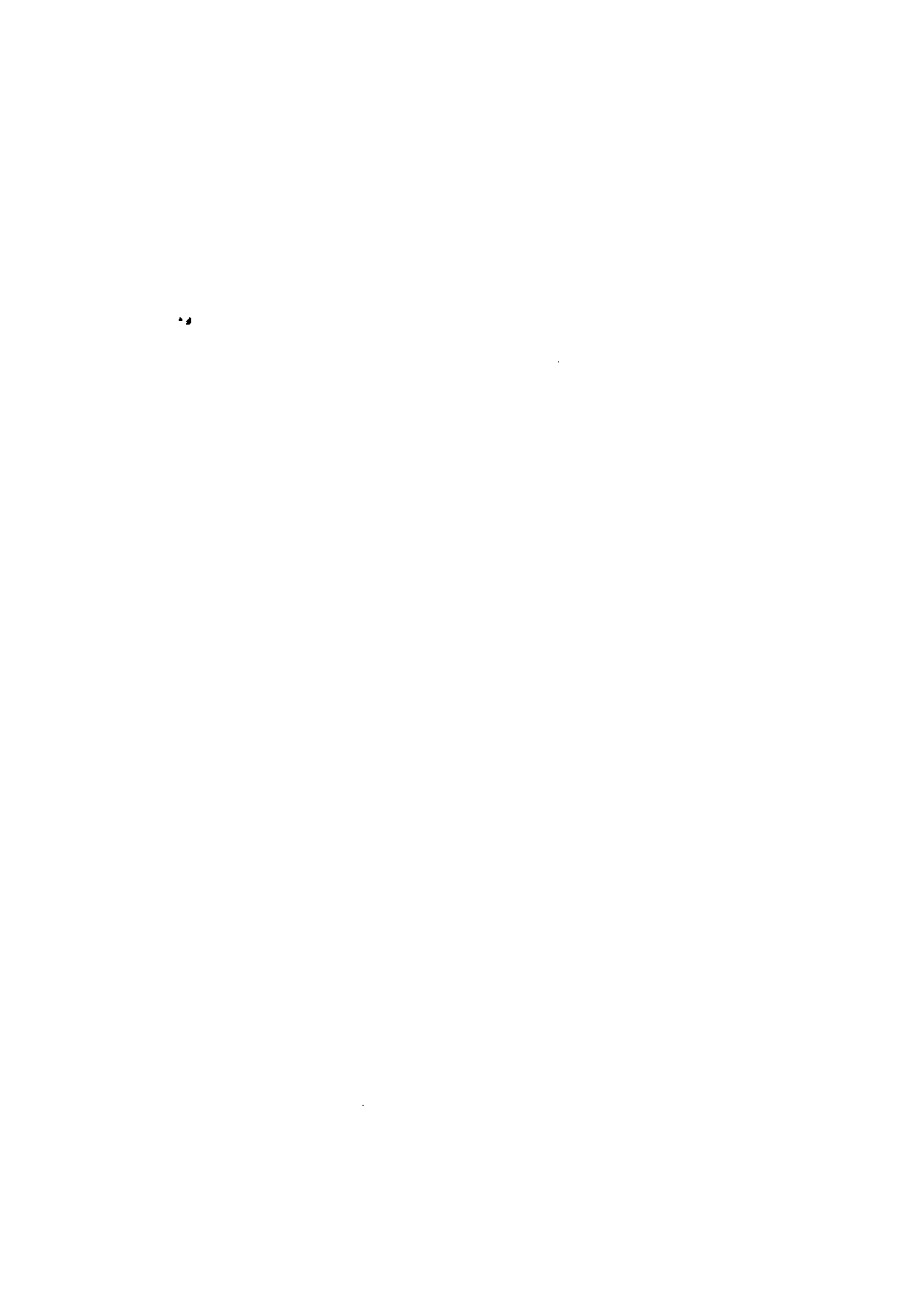
والحمد لله أولاً وآخراً،

وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد

وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * * * *

٦٠



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* المقدمة	٥
* نبذة عن المؤلف	٧
* الورد الأول	٩
* الورد الثاني	١٤
* الورد الثالث	١٨
ترجيح مذهب السلف على غيره من سائر المذاهب	١٨
تنبيهات، أصول البدع خمسة	١٩
* الورد الرابع	٢٣
تنبيهات، الاختلاف في فهم الكمال	٢٤
الباب الأول: في معرفة الله تعالى وتعداد الصفات	٢٥
تنبيهات	٢٦
فصل في بحث في صفات مولانا ﷻ	٢٨
تنبيهات	٣٠
* الورد الخامس	٣١
فصل في مبحث القرآن العظيم والكلام المنزل القديم	٣١
* الورد السادس	٣٨
فصل في صحة إيمان المقلد وعدمها	٣٩
الباب الثاني: في الأفعال المخلوقة	٤١
* الورد السابع	٤٢
تنبيهات	٤٤
* الورد الثامن	٤٨
فصل في الكلام على الرزق	٤٨
الباب الثالث: في الأحكام والكلام على الإيمان ومتعلقاته	٥٠

الموضوع	الصفحة

فصل في الكلام على القضاء والقدر ٥٠
فصل في الكلام على الذنوب ومتعلقاتها ٥٢
* الورد التاسع ٥٣
تنبيهات ٥٥
فصل في ذكر من قيل بعدم قبول إسلامه ٥٧
* الورد العاشر ٦٠
فصل في الكلام على الإيمان واختلاف الناس فيه ٦٢
* الورد الحادي عشر ٦٥
الباب الرابع: في ذكر بعض السمعيات من ذكر البرزخ والقبور وأشراط الساعة والحشر والنشور ٦٧
فصل في ذكر الروح والكلام عليها ٦٩
فائدة ٦٩
فصل في أشراط الساعة وعلاماتها ٧٠
أوصاف الدجال ٧١
* الورد الثاني عشر ٧٥
فصل في أمر المعاد ٧٨
شفاعة النبي ﷺ ٨٣
* الورد الثالث عشر ٨٦
* الورد الرابع عشر ٩٢
الباب الخامس: في ذكر النبوة وذكر محمد ﷺ وذكر بعض الأنبياء والصحابة . ٩٣
فصل في بعض خصائص النبي ﷺ ٩٦
* الورد الخامس عشر ٩٨
فصل في بعض معجزاته ﷺ ٩٨
فصل في ذكر فضيلة نبينا وأولي العزم وغيرهم من النبيين عليهم السلام ١٠٠
فصل في ما يجب للأنبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم ... ١٠١
تنبيه ١٠١
* الورد السادس عشر ١٠٧
تنبيهات ١٠٨
فصل في ذكر الصحابة الكرام بطريق الإجمال ١١٤

الموضوع	الصفحة
* الورد السابع عشر	١١٧
فصل في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها	١١٩
فصل في المفاضلة بين البشر والملائكة	١٢١
* الورد الثامن عشر	١٢٢
فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٢٥
* الورد التاسع عشر	١٢٦
* الورد العشرون	١٣١
* الورد الحادي والعشرون	١٣٥
* المحتوى	١٤١